

صفات الرسل ومهماتهم الواردة في سورة الأنعام

الدكتورة / سارة بنت فراج بن علي العقلاء
قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية للبنات بالرياض — الأقسام الأدبية

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :
فإنه من أعظم نعم الله تعالى على خلقه إرساله للرسل عليهم السلام ؛ الذين هم قادة البشرية ومعلموها ، والإيمان بهم هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، وهؤلاء الرسل — عليهم السلام — هم القدوة لهذه البشرية جمعاء ؛ فمن الأهمية بمكان التعرف على صفاتهم التي اختصهم الله بها ، ومعرفة ما أوكل إليهم من مهمات ؛ وكان ما احتوته سورة الأنعام من هذين الأمرين الشيء الكثير ؛ فلذلك رغبت الباحثة في بحث موضوع (صفات الرسل ومهامهم الواردة في سورة الأنعام) وذلك ضمن سلسلة دراسات في مباحث النبوة الواردة في سورة الأنعام .

وتتبع أهمية الموضوع من أمور هي :

- ١- أهمية تحقيق الحق في مسألة الرسالات وتجليه ما اشتهر بها من عقائد .
- ٢- ربط العقيدة بالمصدر الرئيسي للتلقي وهو الوحي .
- ٣- كون سورة الأنعام قد احتوت على قواعد التوحيد وأصول السدين ، ومن ذلك المباحث المتعلقة بالنبوات .
- ٤- كثرة الشبه التي تثار حول الرسل والرسالات قديماً وحديثاً ، وأهمية الرد عليها .

الهدف من البحث :

بيان صفات الرسل ومهامهم الواردة في سورة الأنعام ، ودراستها ، والتدليل بها على اعتقاد السلف ، والرد على المخالفين لهم .

منهج البحث :

ستتبع الباحثة في هذا البحث المنهج التحليلي إن شاء الله تعالى .
خطوات البحث : يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

فأما المقدمة فتشمل أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج الباحثة فيه .

وأما التمهيد ففيه :

* سورة الأنعام وما ورد في فضلها وسبب التسمية .

* تعريف النبوة وأقوال العلماء في الفرق بينها وبين الرسالة .

* المبحث الأول : اصطفاء الله للرسول .

* المبحث الثاني : رحمة الله بالبشر بإرسال الرسل من جنسهم .

* المبحث الثالث : بيان أن الحجة إنما هي بالرسول .

* المبحث الرابع : تبشير الرسل وإنذارهم لأقوامهم .

* ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج ، ثم الفهارس .

هذا ، وإذ أتقدم بهذا البحث لأقدم عظيم شكري وامتناني لكل من كان لي عوناً

في إتمامه، وأشكر كل من يدلني على ما فيه من نقص أو زلل ، فالكمال عسير .

تمهيد:

تعريف النبوة وأقوال العلماء في الفرق بينها وبين الرسالة :

تعريف النبوة في اللغة :

للفظ النبوة في اللغة ثلاثة اشتقاقات؛ فهي إما أن تكون مشتقة من النبأ وهو الخير العظيم ، أو من النبوة أو النبوة وهي ما ارتفع من الأرض ، أو من النبئ وهو الطريق الواضح.

ولارتباط هذه المسألة بجانب العقيدة كان لعلماء المسلمين من علماء العربية وغيرهم بحث فيه لاسيما وقد قرئ لفظ النبي بالهمز وتركه^(١).

فمن رأى اشتقاق لفظ النبي من النبأ وجّه قراءته ترك الهمز بأنها للتسهيل؛ ذلك أن الهمز أثقل الحروف نطقاً وأبعد ما مخرجاً ، قال سيبويه^(٢):

(ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي، كما تركوه في الذرية والبرية والحباية، إلا أهل مكة فأهمهمزون هذه الأحرف ، ولا يهمزون غيرها)^(٣).

فعلى هذا يكون النبي فعيل بمعنى مفعّل ، أو فاعل للمبالغة ، لأنه أخبر عما بعثه الله به وأنبأ به أمته ، أو يكون منبأ فعيل بمعنى مفعول ، أي أن الله أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه^(٤).

(١) قرأنا نافع بالهمز وقرأ غيره بالتسهيل ينظر : النشر في القراءات العشر ابن الجزري ١ / ٤٢٨ ، التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر الطبري ص ٢٣٠ ، التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون ٢ / ٢٥٣ ، إتحاف فضلاء البشر ، البناء ص ٣٩٥.

(٢) إمام النحو : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ، سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، لزم الخليل بن أحمد ودخل بغداد وناظر الكسائي صنف كتاباً في النحو ، توفي وعمره اثنتان وثلاثون سنة عام ثمانين ومائة ، ينظر : طبقات النحويين ٦٦ ، تاريخ بغداد ١٢ / ١٩٥ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥١ ، بغية الوعاة ٢ / ٢٢٩ ، البداية والنهاية ١٠ / ١٨٢ .

(٣) الكتاب ، سيبويه ٣ / ٥٥٠ وينظر ٤٦٠ ، ينظر لسان العرب - ابن منظور ، مادة نبأ ط ١ / ١٦٢ ، تاج العروس ، الزبيدي ، مادة نبأ ، ١ / ١٣١ .

(٤) ينظر : المصادر السابقة ، النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ٥ / ٢ ، الشفاء الكافي عياض ١ / ٤٨٧ ، أصول الدين - البغدادي ١٥٣ ، شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٥٦٧ ،

إلا أن ابن تيمية -رحمه الله- يرجح الثاني ويرى أنه (أجود من أن يقال إنه بمعنى فاعل أي منبئ، فإنه إذا نبأه الله فهو نبي الله ، سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه)^(١).

ولفظ النبأ كما قال الراغب^(٢) : (خير ذو فائدة عظيمة به علم ،أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقاً)^(٣).
فلفظ الإنباء ، يتضمن معنى الإعلام والإخبار ،ولكنه أخص من مطلق الإخبار كما يقول ابن تيمية، فإنه يستعمل في الأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة ،كما قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٤).

ومن قال باشتقاق لفظ النبوة من النبوة أو النبوة وهي الشيء المرتفع^(٥) قالوا : هي الرفعة والعلو ،والنبي أرفع من أمته ومن اتبعه ، فمعنى النبي المعلى الرفيع المرتلة على سائر الخلق فيكون هنا فاعيل بمعنى فاعل^(٦).

وأما من قال باشتقاقها من النَّبِي وهو الطريق الواضح، فوجهها ذلك بقولهم : إن النبي هو الطريق الموضح الموصل إلى الله تعالى ، ذلك أن النبي في اللغة هو العلم

المواقف، ص ١٧٣ ، لوايع الأمور البهية ، السفاريني ١ / ٤٩ ، شرح جوهرة التوحيد البيهقوري ، ٧ ، نيل الأوطار الشوكاني ١ / ٧ .

(١) النبوات ، ابن تيمية ص ٢٢٢ .

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني الملقب بالراغب ، كان من أذكى المتكلمين من تصانيفه : المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ثلاث وخمسمائة وقيل بل في منتصف القرن الخامس ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٢٠ ، الأعلام ٢ / ٢٥٥ .

(٣) المفردات ، الراغب ، ص ٤٨١ ، ينظر : تاج العروس ، الزبيدي ، مادة نبأ ١ / ١٣١ .

(٤) آل عمران : ٤٩ . النبوات ، ابن تيمية ، ٢٢٢ .

(٥) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة نبأ ، ١ / ١٦٣ ، تاج العروس ، الزبيدي ، مادة نبأ ١ / ١٣٣ .

(٦) ينظر ، الشفاء ، القاضي عياض ، ١ / ٤٩ ، فتح الباري ابن حجر ٦ / ٣٦١ ، شرح المواقيف ، ١٧٣ ، شرح جوهرة التوحيد ، البيهقوري ص ٧ ، نيل الأوطار ، الشوكاني ١ / ٧ ، المفردات ، الراغب ص ٣٨٢ .

من أعلام الأرض يهتدي به ، وهو المكان المرتفع فكأنه لما ارتفع اهتدي به ، فعلى هذا يكون داخلاً في المعنى الثاني^(١) .

وفي حين يرى بعض العلماء اتلاف هذه المعاني في حق النبي وأنه لا منافاة بينها، فإن ابن تيمية يرى أن الثاني (داخل في الأول فمن أنبأه الله وجعله منبأً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً ، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة ؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس نبي)^(٢) .

وتشهد قراءة الهمز^(٣) ، التي سبق الإشارة إليها ، باشتقاق هذا اللفظ من النبأ ، وأما ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : (لست نبيء الله وإنما نبي الله)^(٤) فهو حديث لا يصح ولا يعتمد عليه ، وذكر ابن تيمية أنه لم ير له إسناداً لا مسنداً ولا مرسلاً ، ولا رآه في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة ، و أن مثل هذا لا يعتمد عليه .

ويؤكد ابن تيمية اشتقاقه من النبأ وأن أصله نبيء ، وتركت الهمزة للتسهيل ؛ لأن الهمزة أشرف من الحرف المعتل وأقوى منه (ويمكن أن تلين فتصير حرفاً معتلاً ، بخلاف المعتل فإنه لا يجعل همزة) وعلى هذا (يجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء ، لا من النبوة)^(٥) .

(١) ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة نبا ١٥ / ٣٠٢ ، تاج العروس ، الزبيدي مادة نبا ١ / ٢٢٢ ، مادة نبو ٣٥٤ / ١٠ .

(٢) النبوات ، ابن تيمية ٢٢٣ ، ينظر : أعلام النبوة ، الماوردي ، الشفاء القاضي عياض ١ / ٤٨٧ ، جوهرة التوحيد ، البيهقوري ص ٧ ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبد القادر شبيه الحمد ص ٥ .

(٣) وهي قراءة نافع ينظر : النشر ، ابن الجزري ٢ / ٢١٥ ، التلخيص في القراءات الثمان ، لأبي معشر الطبري ص ٢١٠ ، التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون ٢ / ٢٥٣ ، تخاف فضلاء البشر ، النبأ ص ٣٩٥ .

(٤) الحديث رواه الحاكم في المستدرک وقال عنه الذهبي : منكر لا يصح ٢ / ٢٣١ وأخرجه الخلال في السنة ص ١٩٢ ، وينظر المغني القاضي عبد الجبار ١٥ / ١٤ ، شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ٥٦٧ ،

لسان العرب ابن منظور مادة نبا ١ / ١٦٢ ، تاج العروس ، الزبيدي مادة نبا ١ / ١٢٢ .

(٥) النبوات ابن تيمية ٢٢٣ .

تعريف الرسالة في اللغة :

الرسالة مصدر أرسل رسالة ورسالة وإرسالاً ورسولاً ورسيلاً؛ والإرسال التوجيه، والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم : جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة ^(١). أو من رسل اللبث إذا تتابع دره، أو من قولهم جاء الناس أرسالاً، أي يتبع بعضهم بعضاً ^(٢).

فعلى المعنى الأول يكون الرسول هو المبعوث بالرسالة والموجه لغيره ؛ قال ابن منظور ^(٣) : وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسالة ^(٤).

وعلى المعنى الثاني - أي التابع - يكون الرسول (ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه) ^(٥).

والرسول بمعنى مرسل ولم يأت في اللغة فعول بمعنى مُفعل إلا نادراً، أو يكون بمعنى مفعول ^(٦)، وهو إذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره ^(٧).

ومن معاني الإرسال : الإطلاق والإهمال ، وجعل ابن منظور قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ

تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَرْأَى ﴾ ^(٨) من هذا المعنى أي خلينا

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رسل ١١ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، الأزهرى ، ٢ / ٣٩٢ مادة رسل .

(٣) محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ولد بمصر وولي القضاء بطرابلس ثم عاد إلى مصر فتوفي فيها ، كان يعني باختصار كتب الأدب المطولة ، من أشهر كتبه لسان العرب جمع فيه أمهات كتب اللغة، توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة ينظر : الدرر الكامنة ٤ / ٢٦٢ ، بغية الوعاة ١٠٦ ، الأعلام الزركلي ٣٢٩ .

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رسل ١١ / ٢٨٤ وينظر : الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبد القادر شيه الحمد ص ٥٠ .

(٥) الشفاء القاضي عياض ١ / ٤٨٧ .

(٦) المصدر السابق، وينظر النبوات ، ابن تيمية ، ١٦٦ .

(٧) ينظر شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٥٧٥ ، النبوات ، ابن تيمية ص ١٦٦ ، ١٧٤ .

(٨) مريم : ٨٣

الشياطين وإياهم ، والوجه الثاني أنهم أرسلوا عليهم وقُضوا لهم بكفرهم ، فيكون الإرسال هنا التسليط^(١) .

والتفسير الأول هو تفسير القدرة ، وقد بين ابن القيم بطلانه ، وأن الصحيح هو أن الإرسال هنا بمعنى التسليط ، والتخية من لوازم هذا المعنى .

وهذا الذي ذكره هو الإرسال العام الكوني ، وهو مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾^(٢) فهي أرسلت لتفعل فعلاً لا لتبلغ رسالة ، وأما الإرسال الخاص فهو إرسال الله للرسول لتبليغ الخلق رسالة ربهم^(٣) .

تعريف الرسالة اصطلاحاً :

أما التعريف الاصطلاحي لكل منهما فقد اختلف في ذلك على مذهبين في الجملة؛ الأول منهما يرى أنه لا ثمة فرق بين كلمة نبي و بين كلمة رسول ؛ بل كلتاها بمعنى واحد ، ومن أشهر من رأى هذا الرأي المعتزلة^(٤) وأبو إسحاق الإسفرائيني^(٥) .

وأما الجم الغفير من العلماء فيرون المباينة والاختلاف بين معنى كلمة نبي و بين معنى كلمة رسول ، والعجيب أن يستدل المانعون والمثبتون للاختلاف بآية واحدة

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رسل ١١ / ٢٨٥ .

(٢) الأنعام : ٦١ .

(٣) ينظر : النبوات ، ابن تيمية ص ١٧٤ . شفاء العليل ، ابن القيم ، ص ١٣٧ ، ١٣٦ .

(٤) هم القائلون بالأصول الخمسة ، التوحيد (يقصدون به نفي الصفات) العدل (يقصدون به نفي القدر) الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سمو المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري ، ينظر في مذهبهم : شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، الملل والنحل ١ / ٤٣ ، الانتصار ص ١٢٦ ، مقالات الإسلاميين ح ٢ ٢٣٥ ، الفرق بين الفرق ، ٧٨ .

(٥) ينظر شرح الأصول الخمسة ، القاضي ، ص ٥٦٧ ، التفسير الكبير ، الرازي ٢٣ / ٤٣ .

هي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١). فقال الذين قالوا بترادف الاسمين : قد أثبت الله تعالى لهما معاً الإرسال، فلا يكون النبي إلا رسولاً ، ولا الرسول إلا نبياً ^(٢).

وكما استدل بالآية من قال بالترادف كذلك استدل بها من منعه، فقالوا : إن اسم النبي عطف على اسم الرسول، والعطف يقتضي المغايرة، ولو كان شيئاً واحداً لما حُسِّن تكررهما في الكلام البليغ .

وأيضاً اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات ^(٣) .

وكذلك استدل هؤلاء بحديث أبي ذر ^(٤) (ﷺ) قلت : يا رسول الله : كم المرسلون قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً . وفي رواية قلت : يا رسول الله كم النبيون ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قلت : كم المرسلون منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي رواية أخرى : خمسة عشر ^(٥).

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الشفاء القاضي عياض ١ / ٤٨٨ وينظر شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٥٦٧ ، مذاهب الإسلاميين ، بدوي ، ص ٤٧٥ .

(٣) أعلام النبوة ، الماوردي ، ص ٥١ .

(٤) جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين قيل كان خامس خمسة ، فائدة بدر وهاجر بعد الخندق وكان حامل راية غفار يوم حنين شهد فتح بيت المقدس مع عمر وهو من زهاد الصحابة أقام بالبصرة حتى مات عام اثنتين وثلاثين ، ينظر : طبقات ابن سعد ٤ / ٢١٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٧١ ، سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٦ الإصابة ٤ / ٦٢ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٧٨ ، ١٧٩ ، والطبراني في المعجم الكبير ٧ / ٢٥٨ ورقمه ٧٨٧١ عن أبي أمامة وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف ١ / ١٥٩ ، كتاب العلم ، باب السؤال للاتفاع وإن كثر الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١ / ٢٨٧ رقم الحديث ٣٦٢ .

والذين قالوا بالفرق بين الاسمين اختلفوا في تحديد ذلك على أقوال عديدة ؛ أشهرها: أن النبي من أوحى إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشرع، وأمر بتبليغه^(١).

واعترض على هذا التعريف بأن الله تعالى قد أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموا، وعاب الذين يكتمون العلم ؛ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٢).

كذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَوَّاهُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَنَدَّبُوا فِئَتَهُمْ فِئَةً قَالُوا لَا يَمَسُّنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلُوا بِأَرْسَالِ رَسُولٍ بِأَمْرٍ غَيْرِ حَقِّهِمْ لِيُبْلِيَ اللَّهُ الْقَاصِينَ وَالْغَافِلِينَ﴾^(٣).

كما أن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(٤) الآية - يدل على أن كل نبي وكل رسول تلا على قومه، أو اشتهى هداية قومه، فليست وظيفة النبي قاصرة على نفسه منعزلة عن قومه^(٥).

كذلك على النبي أن يبلغ قومه أنه نبي ليحترم^(٦).

القول الثاني: أن النبي من أوحى الله إليه وبعث لتقرير شريعة سابقة، والرسول من أوحى الله إليه وأتى بشرع جديد على الابتداء أو نسخ بعض أحكام شريعة قبله^(٧).

(١) ينظر شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص ١١٧، نيل الأوطار، الشوكاني، ٧/١، روح المعاني ١٧

/١٧٣، تفسير ابن أبي حاتم ٨/٢٥٠، معارج القبول ٢/ ٦٧٦.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) البقرة: ٢٤٦.

(٤) الحج: ٥٢.

(٥) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبه الحمد، ص ٦ ينظر أضواء البيان الشنقيطي ٥/ ٣٥.

(٦) ينظر: شرح جوهره التوحيد، البيهقوري ص ٧.

(٧) ينظر: أعلام النبوة، الماوردي، ص ٥١، أصول الدين، البغدادي ص ١٥٣، الفرق بين الفرق، البغدادي ٢٦٤، الشفاء القاضي عياض ١/٤٨٨، شرح المقاصد ٦/٥ نيل الأوطار، الشوكاني، ١/ ٧١، فتح

واستدل القائلون بهذا القول بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ ^(١) قالوا : فأنبىء بني إسرائيل كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة ^(٢) .

وربما اعترض على هذا التعريف بأن آدم عليه السلام قد ثبت أنه نبي كما جاء في الحديث : (أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : نعم معلّم مكلّم) ^(٣) وهو بالإجماع لم يحكم بشريعة سابقة ، وكذلك يوسف عليه الصلاة والسلام وصف بأنه رسول في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ ^(٤) . ويوسف عليه السلام إنما حكم بشريعة أبيه إبراهيم عليه السلام، ويتخلص من هذين الاعتراضين بالتعريف الثالث الذي ذكره ابن تيمية وهو : أن النبي هو من أوحى إليه وعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل إلى قوم مخالفين بل إلى قوم مؤمنين ؛ كالأنبياء الذين كانوا قبل نوح عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه : عشرة قرون كلهم على شريعة الحق ^(٥) ، (فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ، ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون

القدير ، الشوكاني ٣ / ٤٦١ ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبد القادر شيبه الحمد ، ص ٥ ،
أضواء البيان ٥ / ٧٣٥ ، روح المعاني ١٧ / ١٧٣ .

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) ينظر : أضواء البيان ، الشنقيطي ، ٥ / ٧٣٥ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٢٦٢ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٧٨ بلفظ (نعم نبي مكلّم) .

(٤) غافر : ٣٤ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٥٤٦ وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري وسكت عنه الذهبي ورواه ابن جرير في تفسيره ٢ / ٣٣٤ .

ما يبلغه العلماء من الرسول ، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة ، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة (^(١)) .

وأما الرسول فهو: الذي أوحى الله تعالى إليه ، وأرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله ، وليس من شرطه أن يزل عليه كتاب ، أو أن يأتي بشريعة جديدة ، فإن يوسف عليه السلام كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم عليه السلام ، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة (^(٢)) .

والرسول إذا أرسل إلى من خالف أمر الله لا بد أن يكذب ، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (^(٣)) .

وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (^(٤)) . فإنه -تعالى- ذكر إرسالاً يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، وهذا هو الرسول المطلق الذي أمر بتبليغ رسالته إلى من خالف الله ، والنبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم . بما لا يعرفونه ؛ بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق كالعالم ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) (^(٥)) (^(٦)) .

(١) النبوات ، ابن تيمية ، ١٧٤ .

(٢) النبوات - ابن تيمية - ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) الذاريات : ٥٢ .

(٤) الحج ، ٥٢ .

(٥) رواه أبو داود ، كتاب العلم ، باب في فضل العلم بذل المجهود ٢٨/١٥ ، الترمذي ، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٣٦٤١ ، سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم الحديث ٣٤٧ ، والحديث رواه البخاري في الترجمة قال ابن حجر : وهذا يشعر بأن له أصلاً الفتح ١ / ١٦٠ .

(٦) النبوات - ابن تيمية - ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون لفظ الرسول أحص من النبي ، فكل رسول نبي ولا ينعكس^(١) . وهناك أقوال أخرى في الفرق بينهما منها :
 ما ذكره الماوردي^(٢) والرازي والقرطبي : أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه^(٣) .
 ويشبه هذا قول البغوي^(٤) : الرسول الذي أرسل على الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عياناً ، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً^(٥) .
 على أن البغوي أثبت للنبي الوحي بالإلهام ، أما القول السابق فإنه يقتضي أن بعض الأنبياء لم يوح إليه إلا مناماً .
 وقال الفراء^(٦) : الرسول النبي المرسل والنبي المحدث الذي لم يرسل^(٧) ، وهذا القول يشبه القول الأول في الفرق بين النبي والرسول ويزيد عليه بأن جعل النبي كآحاد المؤمنين الذين يحدثون .

(١) ينظر الشفاء - القاضي عياض ، ١ / ٤٨٨ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ٥ / ٢ ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ٧ / ١٨ ، تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٠١ شرح جوهرة التوحيد ، البيهقي ص ٨ ، نيل الأوطار ، الشوكاني ، ٧ / ١ ، لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ١ / ٤٩ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد من مصنفاته كتاب : الحاوي في الفقه والنكت في التفسير وأدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية وغيرها ، اقم بالاعتزال مات سنة خمسين وأربع مائة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة ينظر : تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢ ، طبقات السبكي ٥ / ٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ١٨ / ٦٤ .

(٣) أعلام النبوة ، الماوردي ، ص ٥١ ، تفسير القرطبي ، ١٢ / ٨٠ ، التفسير الكبير ، الرازي ٢٣ / ٤٤ تفسير البغوي ٣ / ٢٩٣ .

(٤) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي المفسر كان يلقب بمحيي السنة وكان سيداً إماماً علامة زاهداً توفي بمرو الروذ سنة ست عشرة وخمسمائة ينظر : وفیات الأعيان ٢ / ١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٣٩ ، طبقات المفسرين ١٢-١٣ .

(٥) معالم التنزيل ، البغوي ، ٣ / ٢٩٣ وينظر : تفسير القرطبي ، ١٢ / ٨٠ .

(٦) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الكوفي النحوي صاحب الكسائي قيل فيه أمير المؤمنين في النحو توفي سنة سبع ومائتين بطريق الحج وله ثلاث وستون سنة ، ينظر تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٧٢ .

(٧) معاني القرآن ، الفراء ، ٢ / ٢٢٩ .

وفرق قوم بين الرسول والنبى بأن الرسول : من جاء بكتاب أو نسخ ^(١)، والنبى من لا كتاب له ولا نسخ، ويلحق هذا القول بالقول الثانى - الذى سبق ذكره .
 وإذا كان لفظ النبى أعم من لفظ الرسول - كما سبق - فلا يعنى ذلك أن النبوة أعم من الرسالة (بل الرسالة أعم من جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة ، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف الرسل فانهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم ؛ بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها) ^(٢).

فالملائكة رسل الله كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ^(٣) ، فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي ، فرسل الله هم من يأتى برسالة من الله من الملائكة والبشر ومع هذا فلا يسمى الملك نبياً ^(٤) .

* * *

(١) روح المعاني ، الآلوسى ، ١٧٣ / ١٧ .

(٢) شرح الطحاوية ، ابن أبى العز ، ص ١١٧ .

(٣) الحج : ٧٥

(٤) ينظر : شرح صحيح مسلم ، النووي ١ / ٤٤ ، النبوات ، ابن تيمية ، ١٧٤ ، شرح جوهره التوحيد البيجوري ص ٨ .

المبحث الأول : اصطفاء الله للرسل :

أخبر الله تعالى في كتابه عن اصطفائه للرسل والأنبياء في أكثر من آية ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١).

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) وقال تعالى عن أنبيائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب : ﴿ وَإِلَهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ^(٣).

ذلك أن هؤلاء المصطفين هم المبلغون عن الله أمره ونهيه وخبره ؛ لذا لا بد من تحقق أوصاف خاصة بهم تكون أدعى لقبول الدعوة منهم ، فهم أكمل الناس خلقاً وخلُقاً بل ونسباً ، وهذا دليل على حكمة الله تعالى لأنه وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود كثير الإحسان ، فإنه لا يضع جوده إلا عند أهله ^(٤) . وجاءت الإشارة في سورة الأنعام - موضوع البحث - إلى هذا المعنى في آيات هي :

الأولى : قوله تعالى بعد ذكره الأنبياء من ذرية إبراهيم ﷺ : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥).

الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٦).

(١) آل عمران : ٣٣ .

(٢) الحج : ٧٥ .

(٣) ص : ٤٧ .

(٤) ينظر : تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ٢ / ٤٧٠ .

(٥) الأنعام : ٨٦ .

(٦) الأنعام : ٨٧ .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ ﴾ ^(١) .

فأما الآية الأولى فقد دلت على أن هؤلاء المذكورين جميعهم قد فضلوا على عالمي زمانهم ^(٢)، ذلك أن النبوة هي أعلى درجات الفضائل التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) الآية ^(٤)، بل ذكر بعض المفسرين أنه يؤخذ من هذه الآية أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة ، لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى ، فيدخل في لفظ العالم الملائكة ، وذلك يقتضي كونهم أفضل من الملائكة ^(٥)، فكل واحد من الأنبياء يُفَضَّلُ على من سواهم من العالمين ولا يعارضه كون بعض الأنبياء أفضل من بعض ^(٦) .

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٧) . فالاجتباء هو الاصطفاء فالمعنى : اخترناهم لتبليغ الرسالة إلى من أرسلناهم إليه ^(٨) .

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١١ / ٥١٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١٣٦ .

(٣) النساء : ٦٩ .

(٤) تيسر الكريم الرحمن ، ابن سعدي ، ٢ / ٤٢٨ وانظر تفسير الجلالين ص ١١٣ .

(٥) ينظر التفسير الكبير ، الرازي ، ١٣ / ٦٦ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧) الأنعام : ٨٧ .

(٨) ينظر تفسير الطبري ١١ / ٥١٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١٣٦ .

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ﴾ ^(١) .

فذكر أكثر المفسرين أن معناها : أن الله يعلم الموضع الصالح لموضع النبوة فيه ، فللمرسلة موضع مخصوص لا يصلح وضعها إلا فيه ، فليست مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الأسباب والعدد والنسب ، فمن علم الله أنه يصلح لها ويقوم بأعبائها وهو متصف بكل خلق جميل ومتبرئ من كل خلق دنيء أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً ، ومن لم يكن كذلك لم يضع مواهبه عند من لا يستأهله ولا يزكو عنده ، فليس لكم أيها المشركون أن تتخبروا ذلك علي أنتم ، لأن تخير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته ، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ، وقد اختار الله أن يجعل الرسالة في محمد ﷺ صفيه وخليله ، فدعوا طلب ما ليس من شأنكم ^(٢) .

و (حيث) هنا ليس ظرفاً بل هو اسم نُصِبَ نصبَ المفعول به على الاتساع ؛ أي الله أعلم أهل الرسالة ^(٣) .

فهذه الآيات الثلاث قد دلت على أمرين هما :

١- كمال حال الأنبياء والرسل .

٢- أن النبوة تفضّل من الله تعالى على من يشاء من خلقه ، لا تنال بكسب ولا

اجتهاد .

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١٢ / ٩٥ ، الكشف ، الرمضاني ٢ / ٤٨ ، تفسير القرطبي ٧ / ٧٩ ، التفسير الكبير ، الرازي ١٣ / ١٧٥ ، تفسير ابن كثير ٣ / ١٧٩ ، تفسير الجلالين ١١٨ ، تفسير أبي السعود ٢ / ١٨٣ ، تفسير البياضوي ٤ / ١٢٣ ، نظم الدرر ، البقاعي ٢ / ٧٠٩ ، فتح القدير الشوكاني ٢ / ١٥٩ ، تيسير الكريم الرحمن ، ابن سعدي ٢ / ٤٧٠ .

(٣) تفسير القرطبي ٧ / ٧٩ .

وهذا تفصيل هذين الأمرين :

الأمر الأول : كمال حال الأنبياء :

قال ابن تيمية : (والله حكيم وهو أعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها إلا فيمن هو من أتحمّل الخلق وأصدقهم) ^(١) .

والكمال يتجلى في أمور منها :

١- كمال الخلقة والصورة الظاهرة :

فالأنباء عليهم الصلاة والسلام على غاية الكمال في الخلق ، ومن نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر . ^(٢)

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ ^(٣) .

روى البخاري ^(٤) - رحمه الله - بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما يتستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة ، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام ، فخلأ يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه

(١) الجواب الصحيح ابن تيمية ٢ / ١٧٢ وينظر المعنى - القاضي عبد الجبار ١٥ / ١٨ .

(٢) ينظر فتح الباري ، ابن حجر ، ٦ / ٤٣٨ وينظر شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٥٧٥ فقد قال : (لا يصح عليهم شيء من المفترات نحو دمامة الخلقة وقبح النظر بحيث ينفر) .

(٣) الأحزاب : ٦٩ .

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه وهي أعجمية معناها الزراع ، ولد سنة أربع وتسعين ومائة رحل في طلب الحديث ، صنف كتابه الصحيح في ست عشرة سنة وقد أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه وشرطه فيه أعز من شرط كل كتاب . امتحن بسبب قول لفظي بالقرآن مخلوق وكان الحق معه ، توفي في خرتنك مدينة بسمرقند سنة ست وخمسين ومائتين ، ينظر : تاريخ بغداد ٢ / ٤ ، سر أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩١ ، البداية والنهاية / ١١ / ٢٧ .

ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول :
 ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فأروه عرياناً أحسن ما
 خلق الله عز وجل وأبراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر
 ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً قال :
 فذلك قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ
 مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝ ﴾^(١) .

وأما رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال عنه القاضي عياض^(٢) :
 (وأما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنهما فقد جاءت الآثار الصحيحة
 والمشهورة الكثيرة بذلك)^(٣) .

وروى البخاري بسنده عن البراء^(٤) قوله : (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس
 وجهاً وأحسنه خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)^(٥) .
 وروى أيضاً بسنده عن البراء أنه سئل : أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف ؟ قال :
 لا بل مثل القمر^(٦) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٢٨ ، ح ٣٤٠٤ ، الفتح ٦ / ٤٣٩ .

(٢) عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ولد سنة ست وسبعين وأربع مائة ، كان إماماً في
 علوم كثيرة ، من مصنفاته : الشفا وترتيب المدارك في الفقه وكتاب العقيدة وغيرها ، توفي سنة أربع
 وأربعين وخمسائة ، ينظر وفيات الاعيان ٣ / ٤٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢١٢ ، البداية والنهاية ١٢
 / ٢٤١ .

(٣) الشفاء ، القاضي عياض ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) البراء بن عازب أبو عمارة الأنصاري المدني الحارثي نزيل الكوفة من أعيان الكوفة ، روى كثيراً من الأحاديث
 ، استصر يوم بدر وأبوه من قدماء الصحابة ، توفي سنة إحدى وسبعين عن بضع وثمانين سنة ، ينظر :
 طبقات ابن سعد ٤ / ٣٦٤ ، أسد الغابة ١ / ٢٠٥ ، الإصابة ١ / ١٤٢ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ح ٣٥٤٩ ، الفتح ٦ ص ٥٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ح ٣٥٥٢ ، الفتح ٦ / ٥٦٥ .

قال ابن حجر^(١) : (كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول ،فرد عليه البراء : بل مثل القمر أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال ! فقال : بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين التدوير واللمعان)^(٢) .

٢- الكمال الخُلقي :

وكمال أخلاق الأنبياء عليهم السلام ظاهرٌ لمن تأمل سيرتهم العطرة ؛ذلك أن هؤلاء الأنبياء هم الدعاة إلى مكارم الأخلاق، وتخلقهم بها أدعى إلى قبول دعوتهم لها ،وقد قال ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣) .

وذكر المارودي أن من شرط النبوة: (أن يكون مدعي النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلاً لها ، لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله ، فإن اعتوره نقص أو ظهر منه كذب لم يجوز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أمانتها)^(٤) .

وظهر من سؤالات هرقل^(٥) في الحديث المشهور 'بعد الأنبياء عسن الأخلاق الرذيلة مثل الكذب والغدر فقد قال: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن

(١) أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعماية بمصر ، نشأ يتيماً ، طلب العلم وحفظ القرآن صغيراً ، برع في علوم شتى ثم تفرغ لعلم الحديث ومن أهم مصنفاته : التهذيب ولسان الميزان وأعظمها فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ولي القضاء عدة مرات ، توفي عام اثنتين وخمسين ومائمائة ، ينظر الضوء اللامع، السخاوي ، ٢ / ٣٦ ، البدر الطالع ، الشوكاني ١ / ٨٧ .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، ٦ / ٥٧٣ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلفظ بعثت لأتمم حسن الأخلاق / باب ما جاء في حسن الخلق رقمه ٤٧ ، ١ / ٦٩٤ ، وأحمد في المسند ٣ / ٢٨١ ، والحاكم في المستدرک بلفظ بعثت لأتمم صالح الأخلاق وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ٢ / ٦٠٣ ، وقال عنه الألباني : صحيح / صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٢٣٤٥ ج ١ ط ٢٨٥ .

(٤) أعلام النبوة ، المارودي ص ٤٠ .

(٥) ملك الروم ولقبه قيصر ، جاءه كتاب رسول الله ﷺ وهو بإيليا حاجاً بيت المقدس شكراً لله بعد انتصار الروم على الفرس وقد عظم كتاب النبي ﷺ ووضعه في قصة من ذهب تعظيماً له فلم يزل ينوه من بعده

يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس
ويكذب على الله، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا
تغدر (١).

وكان رسول الله ﷺ قبل النبوة (رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً
وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حِلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً،
وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رؤي ملاحياً ولا ممارياً أحد، حتى سماه قومه الأمين
لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة) (٢).

ووصفته أم المؤمنين خديجة (٣) رضي الله عنها بأصول مكارم الأخلاق في قولها :
(كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم،
وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) (٤)، وذلك أن الإحسان (إما إلى
الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره، أو من
لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به) (٥).

قال القاضي عياض : (وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف الواحد منها

يتوارثونه ويعظمونه خرج من بيت المقدس سنة خمس عشرة وودعها وداع مفارق، توفي سنة ست عشرة
وقام بعده ولده قسطنطين، ينظر فتح الباري، ٤٤، البداية والنهاية ٧/ ٥٤-١٠٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦، ح ٧، الفتح ١/ ٣٢.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير، ١/ ٢٤٩.

(٣) أم المؤمنين، أم القاسم بنت خويلد بن أسد، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه ومنافها جمعة
وهي ممن كمل من النساء ومن كرامتها عليه ﷺ أنها لم يتزوج عليها قط، بشرت ببيت في الجنة، توفيت
في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ووجد عليها رسول الله ﷺ ودفنت بالحجون.، ينظر: طبقات ابن
سعد ٨/ ٥٢، أسد الغابة ٧/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٩، الإصابة ٤/ ٢٨١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٣، ح ٣، فتح الباري ١/ ٢٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١/ ٢٣.

فضلاً عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها؛ فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).^(٢)

٣- شرف النسب :

إن الله سبحانه إنما يصطفى لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب كما في حديث هرقل؛ فقد كان من أول ما سأل (كيف نسبه فيكم؟) وعلل سؤاله بقوله: (سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها)^(٣).

وهكذا كان رسول الله ﷺ خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق؛ فلنسبه من الشرف أعلى ذروه وأعداؤه كانوا يشهدون بذلك.

قال القاضي عياض: (وأما شرف نسبه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه)^(٤).

وأما قول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٥).

فقد قال النبي ﷺ: (يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد)^(٦).

(١) القلم : ٤ .

(٢) الشفاء ، القاضي عياض ، ١ / ٢٠٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي باب ٦ ح ٧ ، الفتح : ط ١ ص ٣١ ، وينظر : مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ج ١٥ ص ٣٠ .

(٤) الشفاء القاضي عياض ، ١ / ١٨٠ .

(٥) هود : ٨٠ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ١٥ ، ح ٣٣٧٥ .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث : يقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه لأهم من سدوم^(١) وهي من الشام ، وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق ، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط ، فبعث الله لوط إلى أهل سدوم فقال : لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت استنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفائي ، ولهذا جاء في بعض طرق هذا الحديث كما أخرجه أحمد^(٢) بسنده عن أبي هريرة^(٣) عن النبي ﷺ قال : قال لوط : (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) قال : فإنه كان يأوي إلى ركن شديد ، ولكنه عنى عشيرته ، فما بعث الله نبياً إلا في ذروة من قومه^(٤) .

٤ - كمال العقل والحجة :

ذكر العلماء اختصاص النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفتنة وقوة الرأي^(٥) ، وعُِّل ذلك بأن جدال الأمم لأنبيائها واقع فالدلائل

(١) سدوم : مدينة تقع تحت الماء اليوم في جنوب البحر الميت ينظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦١ .

(٢) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي من البغدادي ، ولد سنة أربع وستين ومائة ، نشأ يتيماً ، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، امتحن في مسألة خلق القرآن فنتب ، كان زاهداً ورعاً ، توفي يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين وذلك في جنازة عظيمة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٣٥٤ تاريخ بغداد ٤ / ٤٠٢ ، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٧ ، البداية والنهاية ١٠ / ٣٤٠ .

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي على اختلاف في اسمه ، كني بهرة كان يحملها ، كان من المكثرين من رواية الحديث ، أسلم في أول سنة سبع من الهجرة عام خير ، ولم يفارق الرسول ﷺ إلا حين بعثه إلى البحرين ، استعمله عمر على البحرين وربما ناب عن مروان المدينة ، توفي سنة تسع وخمسين ، ينظر : طبقات ابن سعد ٤ / ٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٧٨ ، البداية والنهاية ٨ / ١٠٧ ، الإصابة ٤ / ٢٠٣ .

(٤) سند الإمام أحمد ٢ / ٥٣٣ وفيه : قال أبو عمر من رجال السند ، فما بعث الله عز وجل نبياً بعده إلا في منعة من قومه والحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ١٣ ح ٣١١٦ وقال الترمذي : وهذا حديث حسن ٥ / ٢٧٤ ، وأخرجه الحاكم وقال عنه : صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي ، ينظر : المستدرک ٢ / ٥٦١ ، وينظر فتح الباري ، ابن حجر ٦ / ٤١٥ .

(٥) لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، ٢ / ٢٦٦ .

منصب النبوة أن يكون عندهم من الفطانة ما يردون به على الخصم ،على تقدير وقوع جدال منهم^(١).

وكان مما استدلوا به قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾^(٢). ولما كان سن الأربعين هي سن الكمال كان بعث الأنبياء عليهم السلام عليها ومنهم نبينا محمد ﷺ، وأما ما يذكر عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه رُفِعَ إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهو غير ثابت ، كذلك لا يرد قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣).

لأن المراد بالحكم هنا : العلم والفهم في الدين لا النبوة^(٤). كذلك لما كان جنس الرجال أكمل من جنس النساء، كان الأنبياء منهم على قول الأكثرين واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾^(٥).

فأثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم، وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم؛ فلا تكون أنثى نبيه، والقول بنبوة حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية امرأة فرعون ومريم قول مرجوح خلافاً لأبي الحسن الأشعري^(٦) وأبي عبد الله القرطبي^(٧).

(١) شرح جوهرة التوحيد ، البيهقوري ، ص ١٢٢ .

(٢) الأنعام : ٨٢ .

(٣) مريم : ١٢ .

(٤) ينظر زاد المعاد ، ابن القيم ج ١ ص ٧٧ ، ٨٤ ، شرح جوهرة التوحيد ، البيهقوري ص ٩ ، فتح الباري ، ابن حجر ٦ / ٤٦٨ .

(٥) يوسف : ١٠٩ ، النحل : ٤٣ .

(٦) إمام المتكلمين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ولد سنة ستين ومائتين وقيل بل سنة سبعين ، كان أول أمره معتزلياً ثم أخذ طريقة الكلالية وفي آخر حياته عاد إلى طريقة السلف في الجملة ، وكان ذا ذكاء مفرط ، مات سنة أربع وعشرين وثلاث مائة ، ينظر : تبين كذب المفيري ، تاريخ بغداد ، ٣٤٦/١١ ، سير أعلام النبلاء ، ٨٥/١٥ .

(٧) ينظر : الجواب الصحيح ، ٣٣٢/١ ، لوامع الأنوار ٢/٢٦٦ .

وصرح بنفي النبوة عن النساء الحسن البصري^(١) في قوله : لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء^(٢) .

كذلك من كمال الأنبياء أن بُعثوا من أهل القرى كما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾^(٣) .

ذلك أن أهل القرى أكمل عقولاً وأصح آراء من أهل البادية الذين يغلب عليهم الغلظة والجفاء، كما قال قتادة^(٤) : ما نعلم أن الله أرسل رسولاً إلا من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود^(٥) .

فهذه الأمور السابقة من أنواع الكمالات ثابتة للأنبياء من قبل اصطفتائهم للنبوة، وهي دالة على كمالهم ، ومظهرة حكمة الله تعالى في اصطفتائهم إياهم ، أما بعد نبوتهم فما ثبت لهم العصمة ؛ وهي في لغة العرب بمعنى المنع والحفظ والوقاية^(٦) .

وهناك خلاف في تحديد مفهومها بين الفرق الإسلامية ؛ فيرى أهل السنة أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك

(١) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت كانت أمه مولاة لأم سلمة رضي الله عنها ، ولد لستين بيتاً من خلافة عمر وحضر الجمعة مع عثمان و كان من أعلم أهل زمانه جامعاً للعلم والعمل زاهداً ناسكاً ولي القضاء لعمر بن عبدالعزيز ، توفي سنة عشر ومائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ١٥٦/ ٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣ ، البداية والنهاية ، ٩ / ٢٧٩ .

(٢) النبوات ، ابن تيمية ، ٢٦١ .

(٣) يوسف : ١٠٩ .

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الضريع ولد سنة ستين وكان من أوعية العلم ويضرب به المثل في قوة الحفظ وكان ممن يرى القدر ، توفي بالطاعون سنة ثمانٍ عشرة ومائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٢٢٩/ ٧ ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٢٦٩ ، البداية والنهاية ٩ / ٣٢٥ .

(٥) تفسير الطبري ١٢ / ٨٠ ، تفسير ابن أبي حاتم ٧ / ٢٢١٠ وينظر تفسير البغوي ٢ / ٤٥٣ .

(٦) لسان العرب ١٢ / ٤٠٤ وفي المفردات : العصم : الإمساك وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً ، بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وثبت أقدامهم ثم بإتزال السكينة عليهم ، ص ٣٣٧ .

شيء من الخطأ ، كذلك هم معصومون عن الكبائر مطلقاً، وأما الصغائر فهم معصومون من الإقرار عليها ^(١).

وهذا القول كما قال ابن تيمية : (هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي ^(٢)) أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة إلا ما يوافق هذا القول ^(٣) .

وذكر الفخر الرازي أن قول أكثر الأشعرية وقوله : (أن الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز) ^(٤).

وأما المنحرفون في مسألة العصمة فهم على طرفي نقيض : قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب مطلقاً وأعظمهم قولاً : الرافضة ^(٥) فهم يمنعون الكبيرة والصغيرة على الأنبياء قبل البعثة وبعدها لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان ، وأن نبينا ﷺ لم يعص الله عز وجل منذ خلقه إلى أن قبضه ، ولا تعمد له خلافاً ولا أذنب ذنباً على التعمد ولا النسيان ^(٦) .

(١) ينظر : مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ١٠ / ٢٩٢ ، منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية ١ / ١٣٠ ، شرح المقاصد / ٥٠ .

(٢) أبو حسن علي بن أبي علي التغلي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي ، ولد بآمد سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، تكلم فيه بأشياء فأقم بالتعطيل والانحلال ولاء المعظم من بني أيوب التدريس ، من مؤلفاته : إيكار الأفكار وأحكام الأحكام ، توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة ينظر : وفيات الأعيان ٣ / ٢٩٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٦٤ ، البداية والنهاية ١٣ / ١٥١ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٤ / ٣١٩ .

(٤) عصمة الأنبياء ، الرازي ، ص ١٨ وينظر : الإرشاد، الجويني ص ٢٩٨ ، المواقف ، الإيجي ص ٣٦٦ .

(٥) إحدى فرق الشيعة وهي الأمامية الأثناعشرية ، سموا بالرافضة مع بداية القرن الهجري الثاني لرفضهم إمامة زيد بن علي بن الحسين أو لرفضهم أبي بكر وعمر ، لهم مذهب خاص في الإمامة يعتمد على النص على الأئمة الاثني عشر والفلوهم واعتقاد الغيبة والرجعة ، ينظر في مذهبهم أوائل المقالات ، المفيد ، الكافي للكليني ، وغيرها وينظر : مقالات الإسلاميين ١ / ٨٨ ، التنبيه والرد ٢٥ .

(٦) ينظر أوائل المقالات ، المفيد ص ٣٠ - ١١ ، شرح عقائد الصدوق ، المفيد ٦٠ ، ٦٢ ، وينظر عصمة الأنبياء الرازي ص ١٨ ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٤ / ٣٢٠ .

كذلك المعتزلة قالوا بامتناع الكبائر عليهم قبل النبوة ، قال القاضي عبد الجبار^(١) أنه (لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها ، فأما الصغائر التي لا حظ لها إلا في تقليل الثواب فإنها مجوزة على الأنبياء)^(٢) .

وقال الخياط^(٣) : (فلم يكن الله جل ثناؤه ليأمرهم بتصديق من يجوز عليه خطأ ولا بطاعة من لا يؤمن منه الغلط)^(٤) .

وذهب القاضي عياض إلى عصمتهم من الكبائر والصغائر بعد النبوة ، وأما قبلها فهم معصومون من كل ما يوجب الريب ومترهون عن كل عيب^(٥) .

وأما الطائفة الأخرى المقابلة للرافضة فهي التي أفرطت في أن ذكرت عن الأنبياء ما دل القرآن على براءتهم منه ، وأضافوا إليهم ذنباً وعيوباً نزههم الله عنها ، ولعلهم تأثروا باليهود الذين نسبوا إلى الأنبياء اقتراف الكبائر ؛ بل وجوزوا عليهم الوقوع في الشرك كما تطفح بذلك الكتب المقدسة عندهم^(٦) ، وقد أطلق ابن تيمية هذا القول ولم ينسبه إلى فرقة بعينها ، غير أن المؤلفين في الفرق نسبوا إلى الكرامية^(٧) أنها خاضت (في باب عصمة الأنبياء عليهم السلام فقالوا : كل ذنب

(١) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن خليل شيخ المعتزلة أبو الحسن الحمذاني الشافعي ، ولي قضاء الري وتصانيفه كثيرة ، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة وهو في التسعين ينظر : تاريخ بغداد ١١ / ١١٣ سمر أعلام النبلاء ١٧ / ٢٤٤ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٠٢ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص ٥٧٣ ، المغني ، القاضي عبد الجبار ، ١٥ / ٣٠٤ .

(٣) أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط شيخ المعتزلة البغداديين له مكانة وجلالة عند المعتزلة وهو من نظراء الجبائي عندهم له مصنفات في مذهب المعتزلة ، ينظر : تاريخ بغداد ، ١١ / ٨٧ ، طبقات المعتزلة ابن المرتضى ٨٥ ، سمر أعلام النبلاء ١٤ / ٢٢١ .

(٤) الانتصار ، الخياط ، ٩٤ .

(٥) ينظر : الشفاء القاضي عياض ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٦) كما نسبوا هارون إلى الشرك وضع العجل : خروج : ٣٢ : ٢ - ٤ .

(٧) نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني ، عُدها البغدادى والشهرستاني من فرق المشبهة ونُسب إليها القول بالتجسيم ولهم أقوال متناقضة في باب الإيمان ، وقالوا بالتحسين والتقبيح ولم يثبتوا رعاية الأصلح ، جوزوا

أسقط العدالة أو أوجب حداً فهم معصومون منه وغير معصومين مما دون ذلك (١).

الأمر الثاني : أن النبوة تفضل من الله تعالى على من يشاء من عباده لا تنال بكسب ولا اجتهد :

ودل قوله تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢) على أن الرسالة محض اصطفاء من الله تعالى بمنّ بها على من يشاء من عباده - كما سبق ذكره.

فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئة الله تعالى فقط، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته التي لا تنال بمجرد الكسب والجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات ، وخالف في ذلك المتفلسفة (٣) فجوزوا اكتساب النبوة بزعمهم أن من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال وإخلاء النفس من الشواغل وكمال الظاهر والباطن بالتهذيب والرياضة، انصقلت مرآة باطنة وفتحت بصيرة له وتهيأ لما لا يتهيأ له غيره من التحلي بالنبوة ؛ لأن النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاثة أمور في النبي هي :

الأول : أن تكون له قوة عقلية ينال بها العلم من غير تعلم ولا يستنكر هذا الاطلاع، لأن النفوس الإنسانية مجردة ولها نسبة إلى المجردات العقلية والنفوس السماوية.

عقد البيعة لإمامين في قطرين ، نُسب إليهم القول بتحيز الكباثر من الأنبياء ، كانوا بأرض خراسان ولاوجود لهم حالياً ، الفرق بين الفرق : ١٦١ ، الملل والنحل ١ / ١٠٨ ، مجموع الفتاوى ١٠٣ / ٣١ .

(١) الفرق بين الفرق ، البغدادي ، ١٦٧٨ .

(٢) الأنعام : ١٢٤ .

(٣) ويراد بهم هنا الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام ذلك إن فلاسفة اليونان القدماء لا يؤمنون بالنبوة أما هؤلاء وعلى رأسهم الفارابي وابن سينا زعموا التوفيق بين الفلسفة والدين فأتوا بنظرية النبوة التي زعموها وتقرباً للمسلمين ينظر في الفلسفة الإسلامية . إبراهيم مذكور ص ٦٩ .

الثاني: أن تكون له قوة خيالية يتخيل بها الحقائق العقلية، فيرى الملائكة مصورة بصور محسوسة ويسمع كلامهم وحيًا من الله، ولا يستنكر أن يحصل له في يقظته مثل ما يحصل للنائم في نومه.

الثالث: أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر في العالم فتظهر منه الأفعال الخارقة للعادة^(١).

وحقيقة قولهم أنه لا فرق عندهم بين النبي والساحر إلا أن النبي يريد الخير، والساحر يريد الشر، والملائكة والشياطين جنس واحد، لكن قوة الملائكة صالحة وقوة الشيطان قوة فاسدة، ويرون أن الرسل كان مقصدهم صلاح عموم الخلق الذين لا يفهمون الحقائق الباطنة، فخاطبهم بضرب الأمثال ليتفهموا بذلك، وأظهروا الحقائق العقلية في القوالب الحسية؛ يقول الفارابي^(٢): (فحكماء المدينة الفاضلة هم الذين يعرفون هذه براهين وبيصائر أنفسهم، ومن يلي الحكماء يعرفون هذه على ما هي موجودة ببيصائر الحكماء اتباعاً لهم وتصديقاً لهم وثقة بهم، والباقيون منهم يعرفونها بالمثلثات التي تحاكيها)^(٣).

وهذا الذي فعلته الرسل هو غاية الإمكان في كشف الحقائق، ومقصدهم حفظ النوع البشري وإقامة مصالحه، ومدح المتفلسفة الأنبياء بهذا ويعظمونهم^(٤).

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي ١٠٩-١٢١، تمهات الفلاسفة، الطوسي ص ٢٩٥-٢٩٦- الإشارات والتنبيهات لابن سينا مع الشرح ٣٥٣/٢-٣٦٤- شرح العقيدة الأصفهانية - ابن تيمية - ص ١٠٦، الرد على المنطقيين، ابن تيمية ص ٤٤٢، لوامع الأنوار البهية، السفاريني ٢٦٧/١، الموافق، الإيجي ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) محمد بن محمد بن طرفان أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني التركي الفيلسوف ومن كتبه تفقه ابن سينا، اتصل بسيف الدولة الحمداني ومن أقواله: القول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، له نحو من مائة كتاب، توفي بدمشق سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ينظر: طبقات الأطباء ١٣٤/٢، البداية والنهاية ٢٣٨/١١، الأعلام ٢٤٢/٧.

(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي ص ١٤٣.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٢/٤، ٣٥٢/٩٩، ينظر الإشارات والتنبيهات، ابن سينا ٣٥٣/٢، ٣٦٤، رسائل إخوان الصفا ٣٢١/١-٣٢٢-٣٣٠، ١٢٩/٤، ١٣٥-١٣٦-٢٣٢، رسالة حي بن يقظان لابن طفيل ١٤٩-١٥٤.

ولما كانت النبوة مكتسبة عند المتفلسفة صار كثير منهم (يطلب أن يصير نبياً كما جرى للسهرودي المقتول^(١) ولابن سبعين^(٢))^(٣).

المبحث الثاني: رحمة الله بالبشر بإرسال الرسل من جنسهم.

كان من تمام حكمة الله ورحمته بخلقه بل ومنتته عليهم أن أرسل إليهم رسلاً من جنس البشر مثلهم ؛ إذ كانوا لا يطيقون الأخذ عن الملائكة ، ومع ذلك فقد كان من شبه المكذبين للرسل أن قالوا : إن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون هذا الرسول من الملائكة ، وقد ذكر الله تعالى هذه الشبهة مراراً وتكراراً في كتابه الكريم.^(٤)

ومما ورد في سورة الأنعام موضوع البحث - قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمَا يَلْبُسُونَ ﴾^(٥).

وأمر الرسول ﷺ بأن ينفي عن نفسه أن يكون ملكاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا

(١) شهاب الدين يحيى بن حبش السهرودي كان من الفلاسفة الأذكىاء إلا أنه قليل الدين ونسب إلى السحر أفنى علماء حلب بقتله وذلك في عهد الملك الظاهر ، فاختار الموت جوعاً وقيل خنق حتى مات وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ينظر : وفيات الأعيان ٢/٢٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٧.

(٢) عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الأشبيلي المراسي من زهاد الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود وصنف في ذلك مصنفات كفره كثير من العلماء ، توفي بمكة سنة تسع وستين وستمائة ، ينظر : لسان الميزان ٣/٣٩٢ ، البداية والنهاية ١٣/٢٧٥ ، الأعلام ٤/٥١.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ، ابن تيمية ص ١٠٦.

(٤) ينظر : النبوات وما يتعلق بها ، الفخر الرازي - ص ١٤٠ ، الجواب الصحيح ، ابن تيمية ١/١٦١ ، النبوات ، ابن تيمية ص ١٦٤.

(٥) الأنعام : ٨٠٩.

مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ قُلٍّ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾، ثم أكد على بشرية الرسل في قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣﴾.

فأما الآية الأولى فقد تضمنت اقتراحاً من اقتراحات المشركين وهو قولهم: (لولا أنزل عليه ملك) أي هلا أنزل عليه ملك من السماء و، لم يبين هنا ماذا يريدون بإنزال الملك المقترح، لكنه بيّن في موضع آخر أنهم يريدون بإنزال الملك أن يكون نذيراً آخر مع النبي ﷺ، يصدقه على ما جاء به ويشهد له بحقيقة ما يدعيه من أن الله أرسله إليهم حتى يؤمنوا به ويتبعوه وهذا قول أكثر المفسرين^(٣)، وقال بعضهم: بل أراد المشركون هنا أن يكون الرسول المبعوث ملكاً أكثر علماً وأقوى قدرة وأظهر امتيازاً عن البشر فتكون الشبهة في رسالته أقل^(٤).

ثم قال الله تعالى جواباً لقولهم وبياناً لما هو المانع مما اقترحوه: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾^(٥) أي لو أنزلنا ملكاً على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي، لجاءهم العذاب عاجلاً غير آجلاً، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات ثم كفرت بعد

(١) الأنعام ٥٠

(٢) الأنعام ١٣٠

(٣) ينظر، تفسير الطبري ١١/٢٦٦، تفسير ابن كثير ٢/١٢٨، تفسير أبي السعود ٢/١١٢، تفسير البضاوي ٤/٢٣، فتح القدير الشوكاني ٢/١٠١، أضواء البيان، الشنقيطي ٢/١٦٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٢/٣٧٥-٣٧٦.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي ١٢/١٦١ - نظم الدرر، البقاعي ٢ص / ٥٩١.

(٥) الأنعام: ٨.

مجيئها من تعجيل النعمة وترك الإنظار ، ذلك أن الله أجرى سنته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن أهلكه الله في الحال؛ فإرسال الرسول البشري إليهم بالآيات البينات التي يعلم الله أنها أصلح للعباد وأرفق بهم ، مع إمهال الله للكافرين والمكذابين خير لهم وأنفع فطلبهم لإنزال الملك شر لهم لو كانوا يعلمون^(١).

روي الطبري بسنده عن قتادة قوله : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ثم لم يؤمنوا لم ينظروا^(٢).

وهذا القول في سبب إهلاكهم وقيل : بل إذا شاهدوا ملكاً في صورته التي خلقه الله عليها زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون؛ ذلك أن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فخير الخلق وأكملهم قوة - وهم الأنبياء - كانوا يرون الملائكة في صورة بشر ولما رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلقه الله عليها غشي عليه^(٣).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لو رأوا الملك على صورته لـماتوا إذ لا يطبقون رؤيته^(٤). وفي رواية: لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل منهم لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة^(٥).

وأما الرسل صلى الله وسلم عليهم فقد أيدهم الله تعالى - كما قال ابن تيمية - حتى أطافوا التلقي عن الملائكة^(٦).

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢٦٥/١١ ، تفسير القرطبي ٣٩٢/٦ - الكشف - الزمخشري ٦/٢ ، التفسير الكبير ، الرازي ١٢/١٦١ ، تفسير أبي السعود ١١٢/٣ ، الجلالين ، ١٠٥ ، فتح القدير الشوكاني ١٠١/٢ ، تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ٣٧٥/٢-٣٧٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٦/١١ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٢٦٥/٤ .

(٣) ينظر : الكشف الزمخشري ٦/٢ ، التفسير الكبير - الرازي ١٢/١٦١ ، تفسير أبي السعود ، ١١٢/٢ ، تفسير البضاوي ٢٤/٤ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٠١/٢ .

(٤) تفسير القرطبي ٣٩٢/٦ .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ١٢٦٦/٤ .

(٦) الجواب الصحيح - ابن تيمية - ١٧٢/٢ .

وأما القول الثالث في سبب إهلاكهم : أنه لو نزل عليهم الملائكة وهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي ، لجاءهم من الله العذاب من غير إمهال ولا إنظار ، لأنه حكم بأن الملائكة لا تنزل عليهم إلا بذلك كما قال الله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ﴾ ^(١) ^(٢).

وقيل : بل سبب إهلاكهم هو : أن إنزال الملك على صورته الأصلية كشف للغطاء ، وفوات للإيمان بالغيب وزوال للاختيار الذي هو قاعدة التكليف ، وقد جرت عادتنا بالإهلاك عند ذلك. ^(٣)

فإذا هم هالكون على كل تقدير ، وأشار بقوله : (لقضي الأمر) إلى غاية السرعة لسهولة الأمر وخفته مؤنته حيث بناه للمجهول وأقام المفعول مقام الفاعل ^(٤). وقوله (ثم لا ينظرون) أي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين ، والفائدة في كلمة (ثم) التنبيه على أن عدم الأنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة ^(٥).

(ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) أي لو جعلنا الرسول إلى النبي ملكاً يشاهدونه ويخاطبونه ، لجعلنا ذلك الملك رجلاً لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك على صورته التي خلقه الله عليها ، فكل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه ، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربتة ، ولما أنسوا به ولدخلهم الرعب من كلامه والانتقاء له ، ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سؤاله ، فلا تتم المصلحة ، كما

(١) الحجر : ٨.

(٢) ينظر : زاد المسير - ابن الجوزي ٨/٣ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير : ٢ / ١٢٨ ، أضواء البيان - الشنقيطي ١٦٤/٢.

(٣) ينظر : نظم الدرر - البقاعي : ٢ ص / ٥٩١ . الكشاف الزمخشري ٦/٢ . فتح القدير الشوكاني ١٠١/٢.

(٤) ينظر : نظم الدرر - البقاعي ٥٩١/٢.

(٥) ينظر : التفسير الكبير - الرازي ١٦١/٢ ، تفسير أبي السعود ١١٢/٢.

أُهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور، قال ابن عباس في الآية : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل لأهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور^(١).

فالحكمة تقتضي أن يكون الملك لو نزل على صورة رجل، وفي إثارة (رجلاً) على (بشر) إيدان بأن الجعل بطريقة التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل^(٢).

وعندما يجعله الله رجلاً أي على صورة رجل من بني آدم ليسكنوا إليه ويأنسوا به سيقول الكافرون أنه ليس بملك فلا تنقطع شبهتهم؛ فنزول الملك لا يفيدهم شيئاً بل يزدادون في الحيرة والاشتباه.

(وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي التبس عليهم أمره فلم يدروا أملك هو أم إنس، فلم يوقنوا أنه ملك ولم يصدقوا به، وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك.

أو خلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلاً ما يخلطونه على أنفسهم وعلى غيرهم في قولهم إن الرسالة لا تصح من البشر، لأهم إذا رأوه في صورة رجل قالوا هذا إنسان وليس بملك، وإن استدلل عليهم بأنه ملك كذبوه، فكأنه قيل : لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم ، أو يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة^(٣).

(١) تفسير القرآن الكريم - ابن كثير ١٢٩/٢.

(٢) تفسير أبي السعود ١١٢/٣.

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٢٦٦/١١ ، تفسير القرطبي ٣٩٣/٦ ، تفسير أبو السعود ١١٢/٢ ، الفتوحات الإلهية ، الجمل ٩/٢ ، نظم الدرر ، البقاعي ، ٥٩١/٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٠١/٢ ، أضواء البيان ، الشنقيطي ١٦٤/٢ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٣٧٥-٣٧٦.

فهذا الآية الكريمة تدل على أن الرسول ينبغي أن يكون من نوع المرسل إليهم
كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾^(١).

فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم ليدعوا
بعضهم بعضاً، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى:
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ ﴾^{(٢) (٣)}.

وذكر الرازي عند تفسيره لهذه الآية أن من حكم إرسال الرسل من جنس
البشر أموراً؛ أحدها: أن الجنس إلى الجنس أميل، وثانيها: أن البشر لا تطيق رؤية
الملك، وثالثها: أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لا يعذروهم
في الإقدام على المعاصي، ورابعها: أن النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من
عباده سواء كان ملكاً أو بشراً^(٤).

وأما الآية الثانية في هذا المبحث التي تؤكد كسابقتها على بشرية الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم وهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٥).

(١) الإسراء: ٩٥

(٢) آل عمران: ١٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/١٢٨-١٢٩، أضواء البيان - الشنقيطي ٢/١٦٢.

(٤) التفسير الكبير - الرازي ١٢/١٦١ وينظر النبوات وما يتعلق بها، الرازي ص ١٤٠.

(٥) الأنعام: ٥٠.

ففيها يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للكفار المنكرين نبوته : لست أقول لكم أني الرب الذي له خزائن السموات فأعلم غيوب الأشياء وذلك أن صفات الكمال ترجع إلى العلم والقدرة والغنى وهي لا تصلح على وجه الكمال إلا لله تعالى وحده ، وكذلك لا أقول لكم إني ملك حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات مالا يطيقه البشر أو تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم فادحاً في أمري فلا أدعي ذلك، إنما أنا بشر من البشر وفي هذا إضافة لإظهار الرسول من نفسه التواضع لله فيه أيضاً إظهار العجز عن إظهار المعجزات المقترحة من الكفار وبيان أنه لا يستقل بتحصيل تلك المعجزات التي طلبوها منه، فإذا لم أدع شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة وهي علم الغيب وملك الخزائن والملكية فلا تقترحوا علي ما هو من آثارها وأحكامها وتجمعوا عدم إجابتي إلى ذلك دليلاً على صحة ما أدعيه من الرسالة فإني أدعي النبوة التي هي من كمالات البشر وقد أتيتكم بالدليل وما أقوله ليس بمنكر في العقول ولا مستحيل فقد وقع الإرسال لكثير من البشر.

(قل هل يستوي الأعمى والبصير) ويراد بالأعمى هنا الكافر الذي قد عمي عن حجج الله تعالى فلا يبينها، والبصير المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستفاد بضيائها، فإني قد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله على صحة قولي وقام على ثبوت النبوة لي أوضح الدلائل وأسطع البراهين. ^(١)

المفاضلة بين الملائكة والأنبياء :

ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية أن كفار قريش كانوا (يتوهمون أن الملائكة أفضل من البشر، أي لست بملك فأشاهد من أمور الله ما لا يشهده البشر، واستدل بهذا القائلون بأن الملائكة أفضل من الأنبياء) ^(٢)

(١) تفسير البيضاوي ، ٦٥/٤ ، تفسير ابن كثير ١٣٨/٢ ، نظم الدرر ، البقاعي ٦٤٠/٢ ، تفسير أبي السعود

١٣٦/٢ ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١١ / ٣١٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٤٢٩/٦ .

واستدل بها الرمحشري^(١) على قاعدة المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء؛ فقال (الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى، وأفضله، وأقربه منزلة منه) إلى قوله (ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة)^(٢).

وتعقبه صاحب الإنصاف بقوله: (ولمخالفه أن يقول إنما وردت الآية رداً على الكفار في قولهم : ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾^(٣) (٤).

ونقل الرازي في تفسيره عن الجبائي^(٥) قوله : (الآية على أن الملك أفضل من الأنبياء)^(٦).

وذكر المارودي أن في نفيه أن يكون ملكاً في هذا الآية : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾^(٧) تأويلين أحدهما: أنه دفع عن نفسه منزلة الملائكة تفضيلاً لهم على الأنبياء، والثاني إنني لست ملكاً في السماء فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة

(١) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الرمحشري الخوارزمي ولد بزمخشري في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة كان رأساً في البلاغة والعربية والبيان ، سمع الحديث وطاف في البلاد وجاور بمكة مدة وكان يظهر مذهب الاعتزال وينظر عليه ، توفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وحمسمائة ، ينظر : وفیات الأعيان ١٦٨/٥ ، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠ ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٥ .

(٢) الكشف - الرمحشري ٢٠/١٢ .

(٣) الفرقان : ٧ .

(٤) الإنصاف، ابن المنير، ٢٠/١٢ وينظر فتح القدير - الشوكاني ١١٨/٢ .

(٥) محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ طائفة الاعتزال في زمانه ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين. وكان على بدعته متوسعاً في العلم سيال الذهن ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وخلفه ابنه أبو هاشم الجبائي ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٨٣ ، البداية والنهاية ١١ / ١٣٤ ، طبقات المعتزلة ، ابن المرتضى ٨٠ .

(٦) التفسير الكبير - الرازي ٢٣٠/١٢ وينظر المغني - القاضي عبد الجبار ١٥-١٦ ، طبقات المعتزلة - ابن المرتضى ٨٠ .

(٧) الأنعام : ٥٠ .

ويغيب عن البشر، وإن كان الأنبياء أفضل من الملائكة مع غيهم عما يشاهده الملائكة^(١).

وهذه المسألة قد اختلف الناس فيها (فينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع فى ذلك قولاً ، وحكى عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية ، وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر ، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض)^(٢).

ويشير ابن تيمية - رحمه الله - إلى غلط من فضل الملائكة على الأنبياء والصالحين ، وأنهم نظروا إلى كمال الملائكة ونقص الصالحين فى الحياة الدنيا (ولو اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد دخول الجنان ، ورضا الرحمن ، وزوال كل ما فيه من نقص وملام ، وحصول كل ما فيه من رحمة وسلام ، حتى استقر بهم القرار والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار ، فإذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلها على حال غيرهم من المخلوقين ، وإلا فهل يجوز لعاقل أن يعتبر حال أحدهم قبل الكمال فى مقام المدح والتفضيل والبراءة من النقص والعيوب)^(٣).

بعث الرسل من الجن والخلاف فيه :

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا

(١) أعلام النبوة ، الماوردي ، ١٢٢ .

(٢) شرح الطحاوية ، ابن أبي العز ، ص ٢٨١ ، وينظر مقالات الإسلاميين ، الأشعري ، ص ٢٩٦ ، ج ٢ ص ١٢٦ أوائل المقالات ، المفيد ٤٤ ، الفرق بين الفرق ، البغدادي ص ٢٦٥ ، أصول الدين للبغدادي ، ص ١٦٦ ، شرح المقاصد ٦٣ / ٥ ، شرح جوهرة التوحيد ، البيهقوري ص ١٣١ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج ١٠ ص ٣٠٠ .

عَلَى أَنْفُسِنَا^١ وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿^(١)﴾، فهي مؤكدة على بشرية الرسل الذين أرسلوا إلى الإنس، وأما بعث الرسل من الجن فقد اختلف فيه ، فالأكثر على أنه لا رسل فيهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾^(٢) فنص سبحانه وتعالى على أن الرسل رجال، وأنهم من أهل المدن لا البوادي ، وهذه صفات البشر لا الجن ، قال الحسن البصري : لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء^(٣) .

قالوا : والمراد بالرسل من الجن هنا: نذرهم الذين كانوا يسمعون كلام الرسل فيبلغونه إلى قومهم ، قال مجاهد^(٤) : الرسل من الإنس والنذر من الجن، ثم قرأ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا^٥ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴾^(٥) .^(٦)

وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : هم الجن الذين لقوا الرسل ، وهم رسل إلى قومهم^(٧) . وقال القرطبي : أما رسل الجن فرسل رسل الله من بني آدم

(١) الأنعام : ١٣٠ .

(٢) يوسف : ١٠٩ .

(٣) النبوات ، ابن تيمية ، ٢٦١ .

(٤) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب ، شيخ القراء والمفسرين ، وأحد أئمة التابعين ، كان من أخصاء أصحاب ابن عباس عرض القرآن عليه أكثر من مدة يقفه عند كل آية ويسأله عنها ، مات وهو ساجد سنة مائة وقيل إحدى وقيل اثنين وقيل ثلاثة ومائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٤٩ ، البداية والنهاية ٩ / ٢٣٢ .

(٥) الأحقاف : ٢٩ .

(٦) تفسير ابن أبي حاتم ١٣٨٩/ ٤ ، وينظر تفسير القرطبي ٧ / ٨٥ .

(٧) تفسير الطبري ١٢ / ١٢١ ، وينظر تفسير القرطبي ٧ / ٨٥ .

، وهم الذين إذا سمعوا القرآن ولوا إلى قومهم منذرين، فيقال لهم رسل الله وإن لم ينص على إرسالهم^(١).

وذهب بعضهم ومنهم مقاتل^(٢)، والضحاك^(٣)، إلى أن الله قد أرسل رسلاً من الجن كما أرسل رسلاً من الأنس، فنقل الطبري في تفسيره قول الضحاك وقد سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله: (يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم) الآية، يعني بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن؟ فقالوا: بلى^(٤).

وذكر الرازي أن علة ذلك أن استئناس الإنسان بالإنسان أكمل من استئناسه بالملك، فكان رسول الإنس من الإنس ليكمل هذا الاستئناس، وهذا السبب حاصل في الجن فوجب أن يكون رسول الجن من الجن^(٥).
ويجاب عن هذه العلة بأن نذر الجن منهم.

وأجاب الأكثرون الذين قالوا: لم يكن من الجن قط رسول مرسل وإنما الرسل من الإنس عن استدلال الضحاك بقوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) بأن الآية محتملة وليست صريحة^(٦) لعدة أمور:

(١) تفسير القرطبي ٧ / ٨٥ .

(٢) مقاتل بن سليمان البلخي ، روى عن مجاهد والضحاك وعطاء و ابن سيرين والزهري وغيرهم قال فيه ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وقال فيه البخاري : مقاتل لاشيء البتة توفي سنة نيف وخمسين ومائة ينظر طبقات ابن سعد ٧ / ٣٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠١ .

(٣) أبو محمد وقيل أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ، وثقه أحمد ابن معين وغيرهما ، كان يعلم الصبيان حسبة ، مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة ، ينظر : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٨ ، البداية والنهاية ، ٩ / ٢٣١ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٢ / ١٢١ .

(٥) التفسير الكبير ، الرازي ١٣ : ١٩٥ وينظر : الكشف ، الزمخشري ٢ / ٥١ ، تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٣ .

(٦) ينظر تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٣ .

الأول : أن قوله (منكم) أي من مجموعكم الصادق بخصوص الإنس ، لأنه لا رسل من الجن ، ويستأنس لهذا القول بأن القرآن ربما أطلق المجموع وأراد بعضه كقوله : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ تَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ^(٢) وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب فمعنى ذلك يخرج من بعضهما أو من أحدهما ^(٣).

الثاني : أن المراد بالرسل من الجن رسل الرسول البشري أي النذر كما في قوله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(٤) فهؤلاء الجن هم رسل الرسل ^(٥).

الثالث : أنه صير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمنتها عرصة القيامة، والحساب عليهم دون الخلق، فلما صاروا في حساب واحد في شأن الثواب والعقاب، خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة، لأن بدء خلقهم للعبودية والثواب والعقاب على العبودية ^(٦).

الرابع : أن قوله : (منكم) أي في الخلق والتكليف والمخاطبة، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال : (منكم) ، وإن كانت الرسل من الإنس ، وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث ^(٧).

(١) نوح : ١٦ .

(٢) الرحمن : ٢٢ .

(٣) تفسير الطبري ١٢١/١٢ ، تفسير القرطبي ١٨٥/٧ الكشاف الزمخشري ٥١/٢ ، معاني القرآن - الفراء ٣٥٤/١ ، الجلالين ١١٨ ، التفسير الكبير - الرازي ١٩٥/١٣ ، أضواء البيان ، الشنقيطي ١٨٨/٢ .

(٤) الأحقاف : ٢٩ .

(٥) التفسير الكبير ، الرازي ١٣/ ١٩٥ الكشاف ، الزمخشري ٥١/ ٢ . تفسير أبي السعود ١٨٥/ ٢ ، الجلالين ١١٨ ، فتح القدير ١٦٢/٢ ، وينظر شرح جوهرة التوحيد ، البيهقوري ، ص ٨ .

(٦) تفسير القرطبي ٨٥/ ٧ .

(٧) تفسير القرطبي ٨٥/ ٧ ، ينظر تفسير أبي السعود ١٨٥/٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٦٣/ ٢ .

و ذكر ابن كثير ^(١) في تفسيره أن من الأدلة على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ (٢) .

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۚ ﴾ ^(٣) فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بيعته ، وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۚ ﴾ ^(٤) .

وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ۚ ﴾ ^(٥) ^(٦) .

(١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ولد بقرية من أعمال بصرى سنة إحدى وسبعمئة ثم انتقل إلى دمشق، برع في الفقه والتفسير والنحو ، ومن جملة مشايخه شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمئة ، ينظر : الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩ ، البدر الطالع ١/ ١٥٣ .

(٢) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

(٣) العنكبوت : ٢٧ .

(٤) الفرقان : ٢٠ .

(٥) يوسف : ١٠٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٣ .

المبحث الثالث :بيان أن الحجة إنما هي بالرسل.

فطر الله تعالى القلوب على توحيده، ونصب في الكون شواهد على وحدانيته، وأودع في الإنسان عقلاً يميز به بين الأمور فيعرف حسنها من قبحها، إلا أنه لتمام عدله ورحمته وحكمته لم يجعل الحجة إلا بالرسالة التي من الله تعالى بها على خلقه.

وأكد الله تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ^(١) فأثبت الحجة بالرسل خاصة ونفى العقاب قبل البعثة .

وقوله : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ﴾ ^(٢).

قال ابن القيم ^(٣): فهذا صريح بأن الحجة إنما قامت بالرسل، وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة، وهذا يدل على أنه لا يعذبهم قبل مجيء الرسل إليهم، لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم ^(٤).

وقال تعالى ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ مُّكْثُوتٌ

لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ^(٥)

والحق هاهنا هو ما بعث به المرسلون باتفاق المفسرين ^(٦).

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الحوزية وابن قيمها ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث وبرع في علوم متعددة ، لازم الشيخ ابن تيمية من سنة اثني عشرة وسبعمائة إلى أن مات، كان ذا عبادة واجتهاد مع حسن خلق . له تصانيف كثيرة ، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، ينظر : البداية والنهاية ١٤ / ٢٤٦ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢١ .

(٤) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ٣٩/٢ .

(٥) الزخرف : ٧٨ .

(٦) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ٥١/٢ .

ومما ورد في سورة الأنعام مؤكداً هذا المعنى هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ بَلَغَ ۙ ﴾ ^(١).

وقوله : ﴿ يَمَعْشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ۖ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاْفِرِينَ ۙ ﴾ ^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۖ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۖ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۙ ﴾ ^(٣).

فأما الآية الأولى فموضع الشاهد منها قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ بَلَغَ ۙ ﴾ ^(٤).

فقد ذكر في هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم منذر لكل من بلغه القرآن من العرب والعجم وكائن من كان ، فكل من بلغه ولم يؤمن به فهو في النار ، وأما من لم يبلغه القرآن فإنه لا يؤاخذ بل حكمه حكم أهل الفترة .

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) الأنعام : ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) الأنعام : ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ .

(٤) الأنعام : ١٩ .

قال البيضاوي ^(١): (وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم، وأنه لا يؤخذ بها من لم تبلغه) ^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿يَمْعَثِرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْبَحْيُوتُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاٰنُوا كَٰفِرِينَ ﴿٢٢٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ ^(٣).

ففي هذه الآية يقرع الله كفار الجن والإنس يوم القيامة وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته، ثم يجيب الكفار: أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة، وشهدوا على أنفسهم بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم لهم في الحياة الدنيا فقامت عليهم حجة الله، وعلم حينئذ كل أحد -حتى هم أنفسهم- عدل الله فيهم.

(ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم)، ذلك إشارة إلى إرسال الرسل، فالعنى إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لثلا يؤخذ أحد بظلم، وهو من لم تبلغه الدعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل ^(٤).

(١) أبو سعيد أو أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي فقيه متكلم ولي قضاء شيراز. له كتب من أشهرها كتابه في التفسير وعرف به عول فيه على الزمخشري وكتب عليه عدة حواشي توفي في تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة، ينظر: البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٧، الأعلام ٤/ ١١٠، كشف الظنون ١/ ٨٦.

(٢) تفسير البيضاوي ٣٦٢/ ٣ وينظر أضواء البيان، الشنقيطي ١٦٨٢.

(٣) الأنعام: ١٣٠ - ١٣١.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤، وينظر تفسير البيضاوي ٤/ ١٢٦، تفسير السعدي، ٢/ ٤٧٦.

وفي قوله (بظلم) كما ذكر الطبري وجهان: (أحدهما) (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أي بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) (وأهلها غافلون) يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: (ما جاءنا من بشير ولا نذير)، والآخر: (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده)، ثم قال: (وأولى القولين بالصواب عندي القول: أن يكون معناه أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم والإعذار بينه وبينهم، وذلك أن قوله: (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) عقيب قوله: (ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) إنما هو : إنما فعلنا ذلك من أجل أننا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه)^(٢).

وفي حاشية الشهاب^(٣) إشارة إلى مسألة التحسين والتقبيح العقلي وذلك عند شرحه للظلم فقال : (والظلم عند عدم إرسال الرسل، بناء على أنه من شأنه ذلك، أو بناء على القبح والحسن العقليين)^(٤).

وإذ ورد ذكر التحسين والتقبيح العقليين فلا بد من بيان أقوال الفرق فيها وبيان القول الصحيح منها ولكن بعد الانتهاء من أقوال المفسرين في هذه الآيات - موضع الشاهد-

(١) لقمان : ١٣ .

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ١٢٤ .

(٣) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري قاضي القضاة ولد ونشأ بمصر واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه القضاء ، توفي سنة تسع وستين بعد الألف ، ينظر : الأعلام ، الزركلي ١ / ٢٢٧ .

(٤) حاشية الشهاب ٤ / ١٢٦ .

فيشير أبو السعود إلى أن هذه الآية تنفي التعذيب الديني الذي هو إهلاك القرى قبل الإنذار ، وكذلك العذاب الأخروي حيث اقتصر على نفي التعذيب الديني، وأما النفي للعذاب الأخروي فقد جاء على الوجه البرهاني (بطريق الأولوية فإنه تعالى لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون إنذار ، فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد أولى وأجلى)^(١).

وأما قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغفيلين ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِفَايِتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾^(٢).

فقد قال المفسرون أن في هذه الآيات الدعوة إلى اتباع القرآن والأمر بتدبره والعمل به والبيان لسبب إنزاله وذلك في قوله (أن تقولوا).

قال ابن جرير الطبري : وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، يعني لينقطع عذرهم^(٣).

وقال الفراء: أن في موضع نصب من مكانين أحدهما : أنزلناه لئلا تقولوا ، والآخر من قوله : واتقوا أن تقولوا^(٤).

(١) تفسير أبي السعود ٣ / ١٨٦ .

(٢) الأنعام : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) تفسير الطبري ١٢ / ٢٣٩ .

(٤) معاني القرآن ، الفراء ، ١ / ٣٦٦ .

وقوله تعالى: (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أي وقد كنا (عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم غافلين، لا ندري ما هي ولا نعلم ما يقرأون وما يقولون، وما أنزل إليهم في كتابهم؛ لأنهم كانوا أهله دوننا ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا، فيتخذوا ذلك حجة فقطع الله بإنزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك)^(١).

وفي قوله: (على طائفتين) استدل بعض المفسرين على أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب؛ إذ لو كانوا منهم كانوا ثلاث طوائف^(٢)، وإن كان بعض المفسرين ذكر أن تخصيص الإنزال بكتابي اليهود والنصارى لأفهما اللذين اشتهرا حينذاك من بين الكتب السماوية^(٣).

وذكر القرطبي أن في قوله: (عن دراستهم) إشارة إلى أن كل طائفة جماعة لتعبيره عنهم بلفظ الجمع، وعدوله عن التثنية فلم يقل: عن دراستهما^(٤).

وقوله: (أو تقولوا لو أنا أنزل إلينا الكتاب لكنا أهدى منهم) أي: لكننا أشد استقامة على الطريق، واتباعاً للكتاب، وأحسن عملاً بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا^(٥)؛ وذلك لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغازارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنها أميون^(٦).

فالمعنى أنزلنا إليكم هذا الكتاب المبارك قطعاً لحجتكم كي لا تقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا، وكنا غافلين عما فيهما، فقطع الله

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤١.

(٢) الفتوحات الإلهية، ١١١/ ٢، وينظر تيسر الكريم الرحمن، ٢/ ٥٠٥.

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٠٠.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٧/ ١٤٤.

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٢.

(٦) الكشف، الزمخشري، ٦٢/ ٢، وينظر تفسير البضاوي ٣٩/ ٤، تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٠٠، نظم

الدرر، البقاعي ٧٤٦/ ٢، الجلالين ص ١٢٢.

عذرهم بإنزال القرآن عليهم^(١)؛ ذلك إنهم إما أن يعتذروا بعدم وصول الهداية إليهم أو بعدم كمالها وتامها فحصل بهذا الكتاب أصل الهداية وكمالها ، ولذلك قال^(٢):(فقد جاءكم بينة من ربكم)، أي فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين ، حجة عليكم واضحة بينة من ربكم^(٣). وزال العذر بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والبينة والبيان واحد ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم سماه سبحانه بنية كما قال القرطبي^(٤) ، أو هو القرآن كما ذكر ذلك الطبري^(٥) والرازي^(٦)، وابن كثير^(٧)، وغيرهم^(٨)، والقولان متلازمان .

فقطع عذر كفار مكة بإنزال القرآن الكريم لثلاثا يقولوا : لو أننا أنزل علينا كتاب لعلنا به ولكننا أهدي من اليهود والنصارى الذين لم يعملوا بكتبهم ، وصرح في موضع آخر أنهم أقسموا على ذلك فقال : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَإِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾^(٩) ^(١٠) .

مسألة التحسين والتقيح العقليين :

لا يراد بهذا المصطلح معرفة قبح أو حسن الأمور الملائمة للطبع، أو المضادة له ، كاللذة والخلاوة، أو الألم والمرارة، فهذه معلومة حتى عند البهائم ، إنما يراد به الحسن

(١) التفسير الكبير ، الرازي ، ٤/١٤ ، وينظر أضواء البيان ، الشنقيطي ٢/ ٢٥٢ .

(٢) ينظر : تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٥٠٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٢ .

(٤) تفسير القرطبي ٧/ ١٤٤ .

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤١ .

(٦) التفسير الكبير، الرازي ١٤/ ٤ .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٠ .

(٨) ينظر : تفسير أبي السعود : ٣/ ٢٠٢ ، نظم الدرر ، البقاعي ٢/ ٧٤٦ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢

/ ١٧٩ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي : ٢/ ٥٠٤ .

(٩) فاطر : ٤٢ .

(١٠) أضواء البيان ، الشنقيطي ٢/ ٢٥٢ .

أو القبح المتعلق بالشرع، بمعنى كون الفعل سبباً للذم والعقاب، أو المدح والثواب، وهل يعلم ذلك بالعقل، أم لا يعلم إلا بالشرع، أم يعلم بهما معاً؟ والأقوال في هذه المسألة ثلاثة، هي :

القول الأول : قول الجهمية وعموم الأشاعرة وهو : أن الأفعال لا تتصف بصفات تكون بها حسنة ولا سيئة، وكون الفعل حسناً أو سيئاً : إنما معناه أنه منهي عنه، أو غير منهي عنه، وهذه الصفة إضافية لا تعلم إلا بالشرع .

قال الإيجي ^(١) : (القبيح ما نهي عنه شرعاً ، والحسن بخلافه ، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وليس ذلك عائد إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع ؛ بل الشرع هو المثبت له والمبين ، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه ، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً وانقلب الأمر) ^(٢) .

فالقبيح عندهم ما قيل فيه : لا تفعل ، والحسن ما قيل فيه : افعل أو ما أذن في فعله .

وقال الباقلاني ^(٣) : لا سبيل إلى إيجاب شيء ، ولا إلى حظره ، ولا إلى إباحته ، وأن ذلك لا يثبت في أحكام الأشياء إلا من جهة السمع ، وأن التعريض للثواب لا يقع بالأفعال الواقعة مع فقد السمع ، ولأنها لا تكون مع فقد طاعة الله سبحانه ^(٤) .

القول الثاني : قول المعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة ؛ وهو أن الحسن والقبح عقليان ، وهما صفات ذاتية للفعل لازمة له ، والشرع ليس إلا كاشفاً عن تلك

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي ولد بشيراز بعد السبعمنة ، له : المواقف في الكلام ومقدماته على طريقة الأشاعرة ، من تلامذته السعد التفتازاني وشمس الدين الكرمانلي ، توفي سنة ست وخمسين وستمائة ، طبقات السبكي ٦ / ١٠٨ ، الدرر الكامنة ٢ / ٣٢٢ ، البدر الطالع ١ / ٣٢٦ .

(٢) المواقف ، الإيجي ، ص ٣٢٣ .

(٣) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية وكان من أتباع الأشعري ، مات في ذي القعدة سنة ثلاثة وأربعمائة ، ينظر تاريخ بغداد ٣٧٩ / ٥ سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٩٠ . البداية والنهاية ، ١١ / ٣٧٣ .

(٤) تمهيد الأوائل ، الباقلاني ، ١٤٥ .

الصفات، لا سبباً لشيء من الصفات ، قالوا : فالشرك والظلم والكذب والفواحش ونحو ذلك قبحها معلوم بالعقل، وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة وإن لم يأثم رسول.

القول الثالث : القول الوسط بين القولين السابقين، وهو قول عامة السلف وهو : أن كثيراً من الأمور يدرك حسننها أو قبحها بالعقل قبل مجيء الرسول، لكن الثواب أو العقاب إنما يستحق بمجيء الرسول وبلوغ الحجة الرسالية، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة، فإن فيهما أن ما عليه الكفار هو شر وقبيح وسيء قبل الرسل، وإن كانوا لا يستحقون العقوبة إلا بالرسول ^(١).

ومن أدلة هذا القول قوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ^(٢) فالآية صريحة (بأن الحجة إنما قامت بالرسل ، وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة، وهذا يدل على أنه لا يعذبهم قبل مجيء الرسل إليهم لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم، فالصواب في المسألة إثبات الحسن والقبح عقلاً، ونفي التعذيب على ذلك إلا بعد بعثة الرسل، فالحسن والقبح العقلي لا يستلزم التعذيب، إنما يستلزمه مخالفة المرسلين ^(٣) .

كذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤).

أخبر تعالى أن ما قدمت أيديهم قبل البعثة سبب لإصابتهم بالمصيبة، وأنه سبحانه لو أصابهم بما يستحقون من ذلك لاحتجوا عليه بأنه لم يرسل إليهم رسولا، ولم يترل عليهم كتابا، فقطع هذه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتاب، وهذا صريح في أن

(١) ينظر الرد على المنطقيين ، ابن تيمية ص ٤٢٩ ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية : ٨ / ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ١١ /

٦٧٦ ، مقالات الإسلاميين ، الأشعري ١ / ٢٩٦ .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢ / ٣٩ .

(٤) القصص : ٤٧ .

أعمالهم قبل البعثة كانت قبيحة، ويستحقون عليها العقوبة، ولكنه سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل، فنظمت الآية بطلان قول الطائفتين، ودلت على صحة قول أهل السنة وهو أن القبح ثابت للفعل في نفسه، وأنه لا يعذب الله عليه إلا بعد إقامة الحجة بالرسالة^(١).

المبحث الرابع : تبشير الرسل وإنذارهم لأقوامهم :

تبين من تسمية رسل الله بهذا الاسم المهمة التي أوكلت إليهم ألا وهي تبليغ رسالة الله إلى خلقه، وكما سبق في المبحث الثاني أمر النبي ﷺ أن ينفي عن نفسه ملك خزائن الله، أو علم الغيب، أو أنه ملك من ملائكة الله، وبين أنه إنما يتبع ما أوحى إليه من ربه .

كذلك لم يبعث الرسل ليقترح عليهم المشركون الآيات، أو ليحفظوا ويحصوا على الناس أعمالهم، ويجازوهم عليها ؛ بل هذا لله تعالى ؛ إنما بعثوا لإنذار من كذب بالله عقابه، ولتبشير من آمن به .

وجاء تأكيد هذا المعنى في آيات عديدة في سورة الأنعام هي :

قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾^(٢) .

وقوله تعالى ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأُنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُنْزِلُوا إِلَيْنَا لَعْنَتَهُمْ ۖ لَعْنَتُهُمْ مِنْ دُونِهِ ۖ

وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعَ لَهُمْ ۖ يَقُولُ ۖ ﴾^(٤)

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٧ - ١١٣ .

(٢) الأنعام : ١٩ .

(٣) الأنعام : ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) الأنعام : ٥١ .

وقوله ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ^(٥) .

فدللت هذه الآيات بمجموعها على أن مهمة الرسل الأساسية هي: التبشير والإنذار، و أما هداية الخلق فهي إلى الله تعالى، كذلك إحصاء الأعمال .
والتبشير في اللغة : مصدر بشر يبشر تبشيراً أو إبشاراً وبشارة ، والتبشير المطلق لا يكون إلا بالخير، وإنما يكون بالشر إذا قيد، مثل قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٦) .

(١) الأنعام : ٦٦ .

(٢) الأنعام : ٩٢ .

(٣) الأنعام : ١٠٤ .

(٤) الأنعام : ١٠٧ .

(٥) الأنعام : ١٣٠ .

(٦) آل عمران : ٢١ .

فهذه الكلمة مشتقة من الفرح والسرور، وبشرت الرجل أبشره إذا أفرحته.
وأما الإنذار: فهو مصدر أنذر إنذاراً و نذاراً، وهو الإعلام والتحذير والتخويف
في الإبلاغ^(١).

وهذه أقوال المفسرين في الآيات السابقة وموضع الشاهد فيها .

فأما قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾^(٢) .

فمعناه : أوحى الله إلي هذا القرآن الذي تلوته عليكم، لأجل أن أنذركم به
عقابه، وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم، إن لم ينته إلى العمل بما فيه، وتحليل
حلاله، وتحريم حرامه، والإيمان بجميعه نزول نعمة الله به^(٣).

أما مسألة تضمين الإنذار معنى البشارة في هذه الآية فقد اختلف فيها
المفسرون: فيرى بعضهم أنه اقتصر على الإنذار لأن الكلام مع الكفار^(٤)، ويرى
غيرهم أن الإنذار إنما يكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب والترهيب، وبيان
الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة التي من قام بها فقد قبل الإنذار^(٥)؛ فالإنذار
متضمن للبشارة وإنما اكتفى به لأنه المناسب للمقام^(٦).

وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٧) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ
الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ ﴾^(٨).

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور مادة بشر ٤ / ٥٩ ، تاج العروس ، الزبيدي ، مادة بشر ٣ / ٤٤ ، مادة

نذر ٤ / ٥٦١ .

(٢) الأنعام : ١٩ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ١١ / ٢٩٠ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١٠٥ .

(٤) ينظر تفسير أبي السعود ٣ / ١١٨ .

(٥) تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ، ٢ / ٣٨٢ .

(٦) ينظر تفسير البضاوي ٤ / ٣٦ وحاشية الشهاب عليه .

(٧) الأنعام : ٤٨-٤٩ .

فهي صريحة في حصر مهمة الرسل بالتبشير والإنذار .

فقوله تعالى : (وما نرسل المرسلين) كلام مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الإطلاق، وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام، وإظهار أن ما يقترحه الكفار عليه ﷺ ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً، وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية ^(١).

(إلا مبشرين) المؤمنين أهل الطاعة بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاءً من الله لهم على طاعتهم له ^(٢)، والجنة هي أعظم ما يبشر به ^(٣).

(ومنذرين) الكافرين الذين عصوا الله ، وخالفوا أمره عقوبته إياهم على معصيته يوم القيامة ، جزاءً منه لهم على معصيتهم ، ليعذر إليهم ، فيهلك من هلك منهم على بينة ^(٤)، والنار هي أعظم ما ينذر به ^(٥).

فزبدة ما أرسل به المرسلون هو البشارة والندارة ، وهذا مستلزم لبيان المبشر والمبشر به ، والأعمال التي إذا عملها العبد حصلت له البشارة ، والمنذر والمنذر به ، والأعمال التي من عملها حقت عليه الندارة ^(٦)، فالقصر في الآية يقتضي أن يخبر الرسل أقوامهم بالأخبار السارة، والأخبار الضارة ، دنيوية كانت أو أخروية ، وإلا لزم أن لا يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة ^(٧).

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية جواب لما حكاها الله عن المكذبين فيما سبقها من الآيات أنهم قالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ^(٨) ^(٩).

(١) تفسير أبي السعود ٣ / ١٣٥ .

(٢) تفسير الطبري ١١ / ٣٦٩ .

(٣) حاشية الشهاب: ٤ / ٦٤ .

(٤) تفسير الطبري ١١ / ٣٦٩ .

(٥) حاشية الشهاب ٤ / ٦٤ .

(٦) تيسر الكرم الرحمن ، السعدي ، ٢ / ٤٠١ .

(٧) تفسير أبي السعود ٣ / ١٣٥ .

(٨) الأنعام : ٣٧ .

(٩) التفسير الكبير ، الرازي ، ١٢ / ٢٢٩ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ^(١) أمر بالإنذار بالقرآن الكريم ، وقيل : إن الضمير في قوله (به) يعود إلى الله تعالى ، وقيل إلى اليوم الآخر ^(٢) .

وأمر أن ينذر (الذين يخافون أن يخشروا إلى ربهم) وهم المؤمنون بالله والمراد بقوله (يخافون) أي يخافون أن يخشروا إلى ربهم علماً منهم بأن ذلك كائن ، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده ، عاملون بما يرضي الله ، دائبون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله ، وقيل معناه : يعلمون أنهم يخشرون ، فوضعت المخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك ^(٣) .

وعلى المعنيين فالمراد بهم هم المؤمنون ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ^(٤) والذين ﴿ وَتَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٥) ^(٦) .

وقال بعض المفسرين : بل هم المحزونون للحشر في الجملة سواء كانوا من المؤمنين المفرطين ، أو الجازمين بأصله ؛ كأهل الكتاب ، وبعض المشركين المعترفين بالبعث ، أو المترددين فيه كبعض الكفرة ، الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقاً ، وأما المنكرون للحشر رأساً ، أو القائلون به القاطعون بشفاعه آبائهم ، أو بشفاعه الأصنام فهم خارجون ممن أمر بإنذارهم ^(٧) .

(١) الأنعام : ٥١ .

(٢) ينظر فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١١٩ .

(٣) تفسير الطبري ١١ / ٣٧٣ .

(٤) المؤمنون : ٥٧ .

(٥) الرعد : ٢١ .

(٦) ينظر تفسير ابن كثير ٢ / ١٣٨ .

(٧) ينظر زاد المسير ، ابن الجوزي ٣ / ٤٣ ، تفسير البيضاوي ٤ / ٦٦ ، تفسير أبي السعود ٣ / ١٣٧ ، ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١١٩ .

وقال آخرون : بل الإنذار عام ؛ ولكن إنما ينتفع به (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار، وهم الذين ينفعهم الإنذار ويقودهم إلى التقوى ، فالحصر هنا غير مراد^(١) ؛ ذلك أن الإنذار لما كان هو :الإعلام والتخويف، فهو مثل التعليم ، فمن علمته فتعلم فقد تمّ تعليمه، وكذلك من خوفته فخاف فقد تمّ تخويفه ، وأما من خوفته فما خاف فلم يتمّ تخويفه، فلذلك المؤمنون هم الذين قد تمّ إنذارهم فلذلك حصهم^(٢) .

وأكد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٣) ، على أن الرسول ﷺ ليس برقيب ، ولا بحفيظ قد وكل إليه أمرهم، فيمنعهم من التكذيب أو يجازيهم عليه، إنما هو منذر ومبلغ يبلغهم ما أرسل به إليهم . قال الطبري : (قل لهم يا محمد لست عليكم بحفيظ ولا رقيب وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم)^(٤) .

وقال ابن كثير : (لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم إنما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة)^(٥) .

وقال أبو السعود : (قل "لهم منبهاً على ما يؤول إليه أمرهم وعلى أنك قد أدبت ما عليك من وظائف الرسالة "لست عليكم بوكيل" بحفيظ وكل إلي أمركم لأمنعكم من التكذيب وأجبركم على التصديق ، إنما أنا منذر وقد خرجت من العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه)^(٦) .

(١) ينظر : حاشية الشهاب ٤ / ٦٦ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢ / ٤٠٣ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٧ / ٢٥ .

(٣) الأنعام : ٦٦ .

(٤) تفسير الطبري ١١ / ٤٣٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ١٤٩ .

(٦) تفسير أبي السعود ٣ / ١٤٦ ، وينظر ، تفسير البضاوي ٤ / ٧٨ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ / ١٢٨ ، تيسير

الكريم الرحمن ، السعدي ٢ / ٤١٦ .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاحٍمْ مُتَحَفِظُونَ ﴾ ^(١)، بيان للحكمة من إنزال القرآن على محمد ﷺ وهي: إنذار الخلق عذاب الله وبأسه ^(٢).

و (أم القرى) هي: مكة، وسميت بذلك (لأنها قبلة أهل القرى ، ومحجهم ، ومجتمعهم وأعظم القرى شأنًا ، وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها ، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس) ^(٣).

فالقرآن الكريم أنزل للبركات وأنزل أيضاً لينذر الخلق به فتحذر الناس عقوبة الله وأخذه للأمم ويحذرهم مما يوجب ذلك ^(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ^(٥)؛ ففيه بيان أن حجج الله وبياناته التي يُبصر بها الهدى من الضلال قد جاءت الخلق، وذلك بواسطة الوحي الذي بلغه رسول الله ﷺ ، فمن تبين تلك الحجج ، وأقر بها ، وآمن بما دلته عليه من توحيد الله ، وتصديق رسول الله ﷺ وما جاء به ، فإنما أصاب حظ نفسه ولنفسه عمل ، ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وعمي عن دلالتها التي تدل عليها فنفسه ضرر، وإليها أساء لا إلى غيرها.

(١) الأنعام : ٩٢ .

(٢) تفسير الطبري ١١ / ٥٣٠ .

(٣) تفسير البيضاوي ٤ / ٩٦ وينظر تفسير الطبري ١١ / ٥٣٠ .

(٤) تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ، ٢٣٣/٢ ، وسيأتي مزيد شرح للآية عند الحديث عن عموم رسالته ﷺ

(٥) الأنعام : ١٠٤ .

﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ وما أنا عليكم برفيق أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم^(١) .

فدللت هذه الآية على أن وظيفة الرسل هي : البلاغ المبين ، وقد أداه الرسول ﷺ ، ولا شك أن التبشير والإنذار من البلاغ ، وأما حفظ الأعمال ومراقبتها على الدوام ، فليست من وظيفة الرسل بل هي إلى الله تعالى^(٢) .

وجاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٣) .

إذ معنى الآية : ولو أراد الله - إرادة كونية - أن يعبدوه وحده لقهرهم على ذلك بقوته وقدرته ، لكنه تركهم لاختيارهم الذي هو بقدره تعالى ، وما جعلناك عليهم رقيباً تحصى عليهم أعمالهم ، وما أنت بمكلف بأن تقوم عنهم بتدبير شؤونهم وإصلاح أمرهم ، إنما عليك إبلاغ الرسالة^(٤) .

قال ابن كثير : إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾^(٥) .^(٦)

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٢٥ وينظر : تفسير البضاوي ٤ / ١١٠ ، تفسير أبي السعود ٣ / ١٧٠ ، تفسير ابن

كثير ٢ / ١٦٨ ، فتح القدير ٢ / ١٤٩

(٢) ينظر : تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ٢ / ٤٤٩ .

(٣) الأنعام : ١٠٧ .

(٤) تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ٢ / ٤٥٢ وينظر تفسير الطبري ١٢ / ٣٣ . تفسير البضاوي ٤ / ١١ ،

تفسير أبي السعود ٣ / ١٧١ .

(٥) الرعد : ٤٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢ / ١٦٩ وينظر فتح القدير ٢ / ١٥٠ .

والآية الأخيرة في هذا البحث هي قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا^ط وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^(١).

والشاهد منها هو قوله تعالى: (يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) فقد قطع الله حجة الخلق أجمعين بإرساله الرسل إليهم، معرفة ودالة لهم على توحيد الله، وتصديق أنبيائه، والعمل بأمره، ومنذرة إياهم عذاب يوم القيامة، وفي هذا بيان لأداء الرسل الرسالة التي أوكلت إليهم على أتم وجه وذلك بشهادة الكفار المخالفين لهم^(٢).

قال الطبري: (قد أتاكم رسل منكم ينهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة، وينذرونكم وعد الله على مقامكم، وعلى ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تتذكروا ولم تعتبروا)^(٣).

* * *

(١) الأنعام: ١٣٠.

(٢) بنظر: تفسير الطبري ١٢/١٢٠، تفسير أبي السعود ١٨٦/٣.

(٣) تفسير الطبري ١٢/١٢٠.

الخاتمة :

الحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً ، ثم الصلاة والسلام على معلم الناس الخير
وهادي البشرية جمعاء إلى الحق والنجاة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
وسلم وبعد :

فقد كان أهم ماتضمنه هذا البحث مايلي :

١- اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول على أقوال ؛ أرجحها أن الرسول
هو الذي يوحى الله إليه ، ويرسل إلى من يخالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله
، وليس من شرطه أن يأتي بشريعة جديدة ، أو يتزل عليه كتاب .
أما النبي فهو الذي يوحى الله إليه ، ويعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل إلى قوم
مخالفين بل إلى قوم مؤمنين .

٢- أخبر الله تعالى في كتابه عن اصطفاائه للرسول والأنبياء وذلك في آيات عديدة
، وهذا يدل على كمال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكذلك
على أن النبوة تفضل من الله تعالى على الكمل من خلقه ، لا تنال بكسب
ولا اجتهد خلافاً لما ذهب إليه المتفلسفة .

٣- كان من تمام رحمة الله بخلقه وحكمته سبحانه أن أرسل إلى البشر رسلاً من
جنسهم ، إذ كانوا لا يطيقون الأخذ عن الملائكة ، ومع ذلك فقد كان من
شبه المكذبين للرسول أن قالوا : لو أن الله تعالى أرسل رسولاً إلى الخلق
لوجب أن يكون هذا الرسول من الملائكة ، ومن حكمته سبحانه أنه لم
يجبهم إلى هذا المقترح فالجنس إلى الجنس أميل ، ومما يتعلق بهذا الأمر أن
أكثر العلماء على أن الرسل من الإنس وأما الجن ففيهم النذر .

٤- أن حجة الله تعالى على خلقه بالرسول الذين بعد مجيئهم لا يكون للناس على
الله حجة ، فهو تعالى لا يعذب خلقه قبل مجيء الرسل لأن الحجة لم تقم

عليهم بعد، وبناء على هذا فقد اختلفت الفرق الإسلامية في مسألة التحسين والتبحيح العقليين على أقوال ، أصحابها قول أهل السنة وهو: أن كثيراً من الأمور يدرك حسننها أو قبحها قبل مجيء الرسل، لكن الثواب أو العقاب إنما يستحق بمجيء الرسل وبلوغ الحجة الرسالية .

٥- أن المهمة التي أوكلت إلى الرسل كما ذكر الله تعالى ذلك في هذه السورة وغيرها هي تبليغ رسالة الله إلى خلقه، وتبشير من آمن به وإنذار من كذب بالله ، فالرسل عليهم السلام لم يكونوا ليحسبوا على الناس أعمالهم ويجازوهم عليها بل هذا لله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

- ١- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبد القادر شيبه الحمد ، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- ٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ، لأحمد بن محمد البنا تحقيق شعبان محمد إسماعيل عالم الكتب - مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤- آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها لأبي نصر الفارابي تعليق :على بوملم ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م.
- ٥- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني تحقيق أسعد عثيم ، مؤسسة الكتب الثقافية بددت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري مطبعة الشعب .
- ٧- الإشارات والتنبيهات لأبي الحسين علي بن عبد الله بن سينا ، الجزء الثاني في علم الطبيعة مع الشرح لنصير الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الطوسي وشرح الشرح لقطب الدين محمد بن محمد بن جعفر الرازي ، المطبعة الحيدرية طهران - ١٣٧٨ هـ.
- ٨- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، دار العلوم الحديثة - مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ.
- ٩- أصول الدين ، أبو منصور عبد القاهر بن ظاهر البغدادي - دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- ١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الحكي الشنقيطي - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.
- ١١- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين تأليف : خير الدين الزركلي ، وزارة المعارف المكتبات المدرسية - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة .
- ١٢- أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي - قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر - دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٣- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، تأليف أبي الحسن عبد الرحيم بن عثمان الحياط المعتزلي ، تحقيق د/نيرج ، دار قابس بيروت طبعة عام ١٩٨٦م.
- ١٤- الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ، تأليف ناصر الدين أحمد بن محمد ابن النير الاسكندري المالكي ، مطبوع بهامش الكشف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، طبعة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- ١٥- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دقق أصوله أحمد أبو ملحهم وآخرون ، دار الريان للتراث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- ١٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني - مطبعة السعادة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ .
- ١٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية صيدا بيروت .
- ١٨- تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي ، دار صادر ، بيروت.
- ١٩- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٢٠- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي ، دار الكتاب العربي - بيروت طبعة عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ٢١- التذكرة في القراءات الثمان لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المعري الحلبي، تحقيق أيمن رشدي سويد - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة .
- ٢٢- تفسير البغوي المسمى معالم التزويل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي تحقيق: خالد العك ، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت.
- ٢٣- تفسير البضاوي ، دار صادر - بيروت .
- ٢٤- تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - مطبوع بمامش القرآن . المكتبة الشعبية .
- ٢٥- تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود محمود بن محمد العمادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٦- تفسير الطبري المسمى : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق ومراجعة محمود محمد شاكر - أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، قدم له يوسف عبد الرحمن المرعشلي - بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ.
- ٢٨- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم تحقيق أسامة محمد الطيب - مكة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ٢٩- التفسير الكبير - الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة.
- ٣٠- تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣١- التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر عبد الكريم بن عيد العمر الطبري تحقيق محمد حسن عقيل موسى ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٢- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ،
تحقيق عماد أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
- مركز صالح بن صالح بن صالح الثقافي - عنيزة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٤- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق
أحمد محمد شاكر دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -
١٩٨٧م.

٣٥- الجامع لحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطابع المحد.

٣٧- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي علي تفسير البضاوي ،
دار صادر، بيروت .

٣٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني دار
الكتب العلمية - بيروت.

٣٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني
تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ -
١٩٦٦م.

٤٠- الدرر المنتور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي - الناشر : محمد أمين دمج
- بيروت .

٤١- ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادي المعروف بأبي
رجب ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ط ١ عام ١٣٧٢هـ .

٤٢- الرد علي المنطقيين لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، المطبعة القيمة بمباي ،
١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

- ٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٤٤- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - دمشق - بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .
- ٤٥- السنة لأبي بكر أحمد بن هارون بن يزيد الخلال، دراسة وتحقيق عطية الزهراني - دار الراجية - الرياض . الطبعة الثانية ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ .
- ٤٦- سنن الدارمي . تأليف أبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي - دار الكفر بيروت - طبعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٤٧- سنن ابن ماجه بشرح السندي وبمحايشه تعليقات مصباح الزجاجه في زوائد ابن ماجه للبوصيري ، تحقيق وترقيم : خليل مأمون شي دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٤٨- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق : شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السادسة / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٤٩- السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق : مصطفى عبد الواحد دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٥٠- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق محمد شحاته إبراهيم - دار المنار - القاهرة .
- ٥١- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن حبان البستي - دار الفكر - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ٥٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المكتب التجاري - بيروت .
- ٥٣- شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار بن أحمد - تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم حققه وقدم له : عبد الكريم عثمان ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ذو الحجة سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٥ م .

- ٥٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم - للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي - تحقيق أحمد سعد حمدان - دار طيبة - الرياض .
- ٥٥- شرح جوهر التوحيد لإبراهيم اللقاني المسماة تحفة المريد لإبراهيم محمد البيجوري - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٥٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لصدر الدين علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر - وكالة الطباعة والترجمة - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤١٣هـ .
- ٥٧- شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ، قدم له ، حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- ٥٨- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرحه محمد الصالح العثيمين خرج أحاديثه : سعد بن فواز الصميل . دار ابن الجوزي ، مكتبة شمس - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ .
- ٥٩- شرح المقاصد ، لمسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني تحقيق عبد الرحمن عميرة عالم الكتب ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٩ م .
- ٦٠- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية - مصر - ١٣٦٩-١٩٥٠م .
- ٦١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض بن موسى اليحصبي قدم له :- عبد الوهاب دبس وزيت ، عبد الكريم الرفاعي تحقيق محمد أمين قره علي وجماعة مكتبة الفارابي .
- ٦٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة
- ٦٣- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

- ٦٤- صحيح الجامع الصغير (الفتح الكبير) محمد ناصر الألباني - المكتب الإسلامي بيروت - دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٢-١٩٨٢م.
- ٦٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين السخاوي - دار الكتاب الإسلامي القاهرة .
- ٦٦- طبقات الحفاظ : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣-١٩٧٣م.
- ٦٧- الطبقات الكبرى ، لابن سعد - دار صادر - بيروت .
- ٦٨- طبقات الشافعية الكبرى ، لعبد الوهاب بن علي السبكي - تحقيق : عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي - القاهرة ١٩٦٤-١٩٧٦م.
- ٦٩- طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى ابن المرتضى - بيروت ١٩٦١م.
- ٧٠- طبقات المفسرين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ليدن ، ١٨٣٩م.
- ٧١- طبقات النحويين واللغويين - محمد بن الحسن الزبيدي ، القاهرة ١٩٥٤م.
- ٧٢- عصمة الأنبياء ، محمد بن عمر الفخر الرازي التيمي البكري ، دار المطبوعات الحديثة - جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦م.
- ٧٣- غاية المرام في علم الكلام - سيف الدين الآمدي تحقيق حسن محمود عبد اللطيف لجنة إحياء التراث - القاهرة عام ١٩٣١-١٩٧١م .
- ٧٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد عبد الرازق الدويش ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٦م .
- ٧٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه : محب الدين الخطيب دار المعرفة - بيروت .
- ٧٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت طبعة عام ١٤٠٣-١٩٨٣م.

- ٧٧- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - تأليف : سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٧٨- الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأسفرائيني التميمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- ٧٩- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه - إبراهيم مذكور ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثالثة .
- ٨٠- قاموس الكتاب المقدس ، تأليف نخبة من الأساتذة في الاختصاص واللاهوتين مكتبة المشعل ، بيروت - الطبعة السادسة ١٩٨١ م .
- ٨١- الكتاب - كتاب سيويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ م .
- ٨٢- الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
- ٨٣- الكشاف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - تأليف : أبي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، طبعة ١٣٨٥-١٩٦٦ م .
- ٨٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- ٨٥- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة لعبد الملك الجويني تحقيق : فوقية حسين محمود - عالم الكتب - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧-١٩٨٧ م .
- ٨٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضيئة في عقد الفرقة المرضية ، تأليف محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٢-١٩٨٢ م .
- ٨٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت - طبعة ١٤٠٦-١٩٨٦ م .

- ٨٨- مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد - دار عالم الكتب - الرياض - طبعة ١٤١٢-١٩٨١ م.
- ٨٩- مذاهب الإسلاميين ، لعبد الرحمن بدوي - الجزء الأول - المعتزلة والأشاعرة دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .
- ٩٠- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي - دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٩١- مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي - دار صادر بيروت .
- ٩٢- مشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩ م .
- ٩٣- معاني القرآن تأليف : أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - تحقيق أحمد يوسف نجاتي - محمد علي النجار الهيئة المصرية للكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .
- ٩٤- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر ، بيروت .
- ٩٥- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء د/ عبد العال سالم مكرم . د/ أحمد مختار عمر مطبوعات جامعة الكويت - الطبعة الأولى ١٤٢٠-١٩٨٢ م .
- ٩٦- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق وضبط عبد السلام هارون دار الجليل - بيروت .
- ٩٧- المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية - القاهرة .
- ٩٨- المغني في أبواب التوحيد والعدل - إمام القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ، الجزء الخامس عشر : التنبؤات والمعجزات تحقيق : محمود الخضيرى - محمود قاسم مراجعة : إبراهيم مذكور - إشراف طه حسين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٥-١٩٦٥ م .

- ٩٩- المغني في أبواب التوحيد والعدل وإملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد -
الجزء السادس عشر : إعجاز القرآن - تحقيق أمين الخولي - مطبعة دار الكتب
القاهرة - الطبعة الأولى شعبان ١٣٨٠-١٩٦٠ م .
- ١٠٠- مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والإرادة ، لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر
المشهور بابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠١- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني
دار المعرفة - بيروت .
- ١٠٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ،
الطبعة الثانية ١٣٨٩-١٩٦٩ م .
- ١٠٣- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق : محمد سيد
كيلاني دار المعرفة - بيروت ، طبعة ١٤٠٤-١٩٨٤ م .
- ١٠٤- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية تصنيف أبي العباس أحمد
بن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠٥- المواقف في علم الكلام ، عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي عالم
الكتب ، بيروت .
- ١٠٦- الموطأ مالك ابن أنس ومعه رسالة في وصل البلاغات الأربع في الموطأ للحافظ
ابن الصلاح إعداد وتقديم محمد المرعشلي دار إحياء التراث العربي - بيروت
الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧ م .
- ١٠٧- النبوات ، أحمد بن تيمية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٠٨- النبوات وما يتعلق بها ، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي - تحقيق أحمد
حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .
- ١٠٩- النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن
الجزري دار الكتب العلمية - بيروت .

- ١١٠ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته ووضع حواشيه : عبد الرازق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥-١٩٩٥ م .
- ١١١ - نقض تأسيس الجهمية ، أو بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لأبي العباس أحمد بن تيمية - تصحيح وتكميل وتعليق : عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة . مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ .
- ١١٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق محمود محمد الطناحي ، دار الفكر - الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩ م .
- ١١٣ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الحديث .
- ١١٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أحمد بن محمد خلكان - بيروت ١٩٧٨ م .

* * *